أجاثا كريستي

لعنة الفراعنة

دار النجمة للنشر والتوزيع

لعنة الفراعنة

وقصص أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

لعنة الفراعنة
وقصص أخرى

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

لعنة الفراعنة

من وجهة نظري أعتبر المغامرة المثيرة التي اشتركت فيها مع بوارو بشأن التحقيق في سلسلة غريبة من الأحداث التي انتهت بموت مجموعة من الأشخاص في أعقاب اكتشاف وفتح مقبرة الملك منقرع من أكثر المغامرات التي أتيح لي أن أشارك فيها بوارو إثارة ومتعة.

لم يكد يمضي وقت طويل على اكتشاف لورد كارنافون لمقبرة توت عنخ آمون حتى بدأ السير جون ويلارد والسيد بلينر من نيويورك في التنقيب عن الآثار في منطقة أهرامات الجيزة غير بعيد عن القاهرة، وقد أدت أعمالها إلى العثور فجأة على مجموعة من غرف الدفن. وأثار الكشف الجديد اهتماماً كبيراً، فقد اتضح أن المقبرة التي تمّ الكشف عنها هي مقبرة الملك منقرع، وهو واحد من أولئك الملوك العظام الذين ينتمون للأسرة الثامنة في الوقت الذي كان نجم المملكة القديمة قد بدأ يأفل. ولم يكن يعرف عن هذه الفترة الشيء الكثير من المعلومات، ومن ثَم فقد كان للكشف الجديد دوي عالمي ضخم ونُشرت أنباؤه في جميع صحف العالم.

وسرعان ما وقع حادث كان له تأثير عنيف على الرأي العام العالمي، فلم يكد يمضي وقت طويل على الكشف

عن المقبرة حتى مات السير جون ويلارد فجأة نتيجة هبوط في القلب. وانتهزت بعض صحف الإثارة الفرصة في الحال لكي تقوم بإحياء الخرافة القديمة التي تتعلق باللعنة التي تصاحب الكشف عن الكنوز المصرية القديمة، وأشارت الصحف إلى قصة المأساة التي ترتبط بالمومياء المحفوظة في المتحف البريطاني والتي كذّبها رجال المتحف في ذلك الحين ولكنها عادت تقفز إلى السطح من جديد في أعقاب الموت المفاجئ للسير جون ويلارد بعد الكشف عن المقبرة الجديدة.

وقد وقع حادث آخر بعد أسبوعين، فقد مات السيد بلينر من تسمم حاد في الدم. وبعد بضعة أيام من وفاته أطلق ابن أخيه النار على نفسه في نيويورك، وأصبح الحديث عن لعنة «منقرع» دائراً على كل لسان، واستغلت الصحف موضوع قوى السحر الغامضة التي ترتبط بالموتى في مصر القديمة إلى أبعد الحدود.

تلقى بوارو في تلك الفترة رسالة مقتضبة من الليدي ويلارد (أرملة عالم الآثار) تطلب منه أن يزورها في بيتها في ميدان كنسنجتون، وصحبت بوارو في هذه الزيارة.

كانت الليدي ويلارد سيدة طويلة نحيلة ترتدي ثياب الحداد، وكان وجهها الشاحب يعكس آثار الأسى العميق. وقالت عند رؤيتنا: إنه لكرم شديد منك يا مسيو بوارو أن تلبي دعوتي بهذه السرعة.

فقال بوارو: أنا في خدمتك يا ليدي ويلارد. لا شك أنك أردت استشارتي في قضية معينة؟

- أعلم أنك مخبر خاص، ولكنني لا أريد أن أستشيرك باعتبارك مخبراً فحسب، وإنما باعتبارك رجل مبادئ. وأنا أعرف أن لديك الخيال والتجربة. قل لي يا مسيو بوارو: ما هي آراؤك بالنسبة للأمور الخارقة للطبيعة؟

تردد بوارو برهة قبل أن يجيب وبدا عليه أنه يفكر تفكيراً عميقاً، ثم قال في النهاية: يجب ألا يسيء أحدنا فهم الآخر يا ليدي ويلارد. ليس السؤال الذي توجهينه إليّ سؤالاً عاماً وإنما يبدو أنه يعني تجربة خاصة، أليس كذلك؟ ولعلك تشيرين بطريقة خفية إلى موت زوجك؟

أجابت الأرملة بهدوء: نعم، ما تقوله صحيح.

- هل تريدين مني أن أحقق في الظروف التي أدت إلى الموت؟

- أريد منك أن تؤكد لي تماماً إلى أي مدى تصدق الأخبار التي تنشر في الصحف، وإلى أي مدى يمكن التثبت من الحقائق التي تقال؟ لقد حدثت ثلاث وفيات يا مسيو بوارو، وقد نجد تفسيراً مقبولاً لكل حالة على حدة، ولكننا إذا ربطنا بين الوفيات الثلاث فمن الصعب أن نسلم بأن الأمر مجرد مصادفة، خاصة وأن الوفيات كلها وقعت في خلال شهر واحد بعد فتح المقبرة! ربما كان الأمر مجرد خرافة، ربما كان لعنة من الماضي تعمل بطرق لا يستطيع

العلم الحديث أن يجد تفسيراً واضحاً، ولكن الحقيقة تظل قائمة... ثلاث وفيات! إنني خائفة يا مسيو بوارو، أشعر برعب قاتل وأخشى ألا تقف الأمور عند هذا الحد.

- على من تخافين يا ليدي ويلارد؟

- على ابني. عندما وصلتنا أنباء وفاة زوجي كنت مريضة، وسافر ابني إلى مصر (وكان قد عاد منذ قليل من أكسفورد) وأحضر الجثة إلى أرض الوطن، ولكنه بالرغم من صلواتي وتوسلاتي يصر على العودة إلى مصر. لقد سحره العمل الذي كان يقوم به والده وهو يصر على أن يستأنف الحفريات. ربما خيّل إليك يا مسيو بوارو أنني سيدة حمقاء، ولكنني خائفة. فلنفترض أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد؟ ربما بدا لك أن ما أقوله لا يعدو أن يكون تخريفاً...

قال بوارو على الفور: لا يا ليدي ويلارد، أنا أيضاً أؤمن بقوة الخرافة، فهي واحدة من أعظم القوى التي عرفها العالم.

نظرت إلى بوارو بدهشة بالغة غير مصدق ما يقوله، فلم أكن أصدق قط أن بوارو يؤمن بالخرافات، ولكن بدا لي بوضوح أن الرجل الصغير الحجم يتحدث بجد. واستأنف بوارو حديثه قائلاً: إذن فأنت تطلبين مني أن أعمل على حماية ابنك؟ سوف أبذل أقصى ما في وسعي لأجنبه أي مكروه.

- نعم، هذا ينطبق على الأمور العادية، ولكن ماذا نفعل أمام تأثير السحر؟

- سوف تجدين -يا ليدي ويلارد- في المجلدات التي تتحدث عن العصور الوسطى الكثير من الأساليب التي تتبع للقضاء على السحر الأسود، وربما كان رجال العصور الوسطى يعرفون الشيء الكثير مما لا يحيط به العلم في أيامنا هذه رغم ما يدّعيه العلم من تحقيق للمعجزات. والآن فلنواجه الحقائق لعلها تكون مرشداً لي: كان زوجك مغرماً بالآثار المصرية القديمة، أليس كذلك؟

- نعم، منذ مطلع شبابه إلى أن مات. وكان يُعتبَر واحداً من أهم المصادر الحية التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع.

- ولكن السيد بلينر كان مجرد هاو على ما أعلم؟

- أوه، تماماً. كان رجلاً بالغ الثراء يشارك في أي مشروع يروقه. وقد استطاع زوجي أن يحرك فيه الاهتمام بالمصريات فأصبحت ثروته هي المصدر الرئيسي لتمويل مشروع بعثة التنقيب.

- وماذا بشأن ابن أخيه، ما الذي تعرفينه عن ميوله؟ وهل كان يشترك مع البعثة في أعمالها؟

- لا أظن. أنا في الواقع لم أسمع بوجوده حتى ظهرت أنباء موته في الصحف، ولا أظن أنه كان على علاقة طيبة بالسيد بلينر لأن السيد بلينر لم يتحدث عن وجود أقارب له من قبل.

سأل بوارو: ومن هم أعضاء البعثة الآخرون؟

- حسناً، تضم البعثة الدكتور توسويل، وهو موظف بالمتحف البريطاني، والسيد شنيدر من متحف المتروبوليتان في نيويورك، وشاباً صغيراً يقوم بأعمال السكرتارية للبعثة، والدكتور أميس الذي يرافق البعثة في مجال تخصصه كطبيب. ويجيء في النهاية حسان، وهو مصري كان يعمل مساعداً خاصاً لزوجي.

- هل تذكرين اسم الشاب الأمريكي الذي يقوم بأعمال سكرتارية البعثة؟

قالت الليدي ويلارد بعد قليل من التفكير: هاربر على ما أعتقد، وإن لم أكن واثقة من الاسم. والذي أعرفه أن الشاب لم يعمل فترة طويلة مع السيد بلينر، إلا أنه شاب مرح موفور النشاط.

- شكراً لك يا ليدي ويلارد.

قالت الليدي ويلارد: إذا كانت لديك أسئلة أخرى...

- ليست لديّ أسئلة في الوقت الحاضر، وأرجو أن تتركي الأمر بين يديّ وأن تكوني على ثقة من أنني سوف أفعل كل ما في طاقتي البشرية لحماية ابنك.

لم تكن كلمات بوارو في الواقع تثير الطمأنينة في نفس الأرملة، وقد رأيت ذلك بوضوح على وجهها. إلاّ أن عدم محاولة بوارو في أن يسخر من مخاوف السيدة كان من بواعث راحتها على الأقل. أما من جانبي فلم يسبق لي قط

أن ارتبت في أن بوارو يؤمن في أعماق نفسه بالخرافات، ولهذا فقد كان من الواجب أن أفاتحه في الموضوع ونحن في طريق العودة، وكان يبدو عليه الجد عندما أجابني بقوله: نعم يا هيستنغز، إني أؤمن بمثل هذه الأشياء ويجب ألا تقلل من شأن قوة الخرافة.

- وما الذي سوف نفعله بشأنها؟

قال بوارو باسماً: أنت دائماً الرجل العلمي الطيب يا هيستنغز! حسناً، كنقطة للبداية سوف نرسل برقية إلى نيويورك لنحصل على معلومات مفصلة عن وفاة السيد بلينر الشاب.

أرسل بوارو البرقية، وجاء الرد بالكامل وفي منتهى الدقة. كان روبرت بلينر الشاب في حالة فقر مدقع خلال السنوات الأخيرة، وكان يشغل بعض الوظائف الحقيرة في عدد من جزر بحر الجنوب إلاّ أنه عاد إلى نيويورك منذ عامين لتزداد أحواله المالية سوءاً على سوء، إلاّ أن الشيء الملفت للنظر أنه استطاع في الفترة الأخيرة أن يقترض مبلغاً من المال سمح له بالسفر إلى مصر، وقال لمعارفه مبرراً ذلك: لديّ صديق عزيز هناك أستطيع أن أقترض منه ما أحتاج إليه. ويبدو أن أحلام الشاب قد تبددت لأنه سرعان ما عاد إلى نيويورك وهو يسب ويلعن عمه الذي يعنى بالصرف على عظام الموتى والملوك الغابرين أكثر مما يعنيه مساعدة أهله من لحمه ودمه. وقد حدثت وفاة عمه والسير جون ويلارد أثناء فترة إقامة الشاب في مصر.

وانغمس الشاب مرة أخرى في حياة الضياع في نيويورك، وفجأة وبلا مقدمات انتحر تاركاً وراءه خطاباً يتضمن بعض العبارات الغريبة. ويبدو أنه كتب خطابه الأخير في لحظة من لحظات يقظة الضمير، وقد أشار إلى نفسه بأنه منبوذ أبرص، وختم خطابه قائلاً إن الموت أفضل بالنسبة لأمثاله.

قفزت فكرة غامضة إلى ذهني، ولم أكن قد فكرت قبل ذلك -في الواقع- في فكرة الانتقام الذي يستطيع أن يحققه ملك من مصر القديمة مات منذ آلاف السنين، وإنما رأيت جريمة من جرائم العصر. فلنفترض أن هذا الشاب قرر أن يتخلص من عمه (وأفضل وسيلة من وجهة نظره هي السم)، ويحدث خطأ غير مقصود عندما يتناول السير جون ويلارد الجرعة القاتلة بدلاً من السيد بلينر، ويعود الشاب إلى نيويورك وشبح الجريمة التي ارتكبها يطارده، وتصله أنباء موت عمه فيدرك أن تفكيره في الجريمة لم يكن ضرورياً أبداً، وعندما بدأ ضميره يؤرقه انتحر ليضع حداً لآلامه.

عرضت النظرية التي توصلت إليها على بوارو، فوافقت اهتماماً لديه إذ قال: إنها فكرة عبقرية تلك التي وصلت إليها ولا شك، من المؤكد أنها عبقرية. ربما كان هذا هو ما حدث بالفعل، ولكنك تخرج من حسابك كل تأثير للمقبرة.

هززت كتفي في ازدراء وأنا أقول: أما زلت تعتقد أن لعنة الفراعنة لها دخل في الموضوع؟

- إلى حد كبير يا صديقي، إلى الحد الذي يدفعني إلى

أن أخبرك أننا سنبدأ رحلتنا إلى مصر في الغد.

فقلت بدهشة بالغة: ماذا تقول؟!

قال بوارو وهو يضع على وجهه ملامح البطولة: لقد قلت كلمتي.

وسرعان ما تغير وجهه ثم قال في أسى: ولكن يا إلهي، رحلة البحر... رحلة البحر البغيضة!

* * *

بعد أسبوع كانت أقدامنا تغوص في الرمال الذهبية لصحراء مصر وأشعة الشمس الساخنة تلهب رؤوسنا. وكان بوارو صورة للتعاسة بجانبي، فلم يكن الرجل الصغير الحجم من هواة الرحلات، وكانت رحلة الأربعة أيام من مرسيليا إلى الإسكندرية بمثابة دهر من العذاب بالنسبة لبوارو، وبمجرد أن لمست قدماه أرض الإسكندرية عاد إلى سابق عهده من الحيوية والنشاط.

وعلى العكس من بوارو استولى عليّ سحر مصر، في حين ارتدى بوارو نفس الملابس التي يرتديها في لندن وحمل في جيبه قطعة صغيرة من القماش ليشهر حرباً لا تفتر ضد جيوش الغبار الذي كان يتراكم على آلة التصوير السوداء التي يحملها. وقال بوارو متبرماً: وحذائي يا هيستنغز. انظر إلى حذائي المصنوع من الجلد اللامع وكيف كان يبدو وجيهاً براقاً على الدوام. هل ترى الرمال التي تسربت إليه؟

هذا شيء مؤلم، إنه يثير أعصابي. وكذلك الحرارة، إنها تسبب الجفاف لشاربي!

فقلت له في محاولة للتخفيف عنه: انظر إلى أبي الهول. حتى أنا أستطيع أن أحس بالسحر والغموض الذي يعكسه.

نظر بوارو إلى التمثال في ضيق وهو يقول: حتى التمثال لا تبدو عليه السعادة، وكيف يشعر بالسعادة ونصفه مدفون تحت الرمال بهذه الطريقة غير المنظمة. آه، تلك الرمال الملعونة!

قلت له: لعلك نسيت أن في بلجيكا أيضاً تلالاً من الرمال.

وكنت قد تذكرت في تلك اللحظة رحلة قمنا بها سوياً إلى بلجيكا، فقال بوارو: ليس في بروكسل.

* * *

أطال بوارو النظر إلى الأهرامات وهو مستغرق في التفكير، ثم قال بعد فترة: صحيح أنها تتخذ شكلاً هندسياً صلباً، ولكن سفوحها غير مستوية وشكلها لا يسر العين، كما أن أشجار النخيل التي تحيط بالمكان لا تروق لي حتى ولو كانت منسقة في صفوف!

قطعت عليه حبل الشكوى مقترحاً أن نذهب إلى مقر البعثة. وكان علينا أن نقطع الرحلة راكبين الجمال، وظلت الحيوانات راكعة في صبر تنتظر حتى نركب فوق ظهورها في

حراسة عدد من الصبية يرأسهم أحد المترجمين. ضحكت بعد ذلك من منظر بوارو وهو جالس فوق ظهر الجمل، فقد بدأ الرحلة بالأنين والشكوى المستمرة وختمها بالصراخ والصياح، ثم أصر على النزول ليكمل بقية الرحلة على ظهر حمار صغير. ويجب أن أعترف أن الركوب على ظهر جمل يجري في الصحراء ليس مزاحاً بالنسبة للهواة من أمثالي، فقد ظل جسمي متصلباً لبضعة أيام! ووصلنا في النهاية إلى الموقع الذي تنقب فيه البعثة عن الآثار فقابلَنا رجل ذو لحية رمادية صبغت الشمس وجهه بلون البرونز، يلبس ثياباً بيضاء ويضع خوذة على رأسه، وقال الرجل: مسيو بوارو والكابتن هيستنغز؟ لقد تلقينا برقيتكما، وأعبّر لكم عن بالغ الأسف لأننا لم نستطع أن نوفد لكم واحداً من رجالنا ليستقبلكم عند وصولكم إلى القاهرة، فقد وقع حادث غير منتظر قلب كل خططنا رأساً على عقب.

شحب وجه بوارو وتجمدت اليد التي كانت في طريقها إلى الجيب لتبحث عن قطعة القماش، وقال في قلق شديد: هل حدثت وفاة جديدة؟

- نعم.

صحت بانفعال: أهو السير جاي ويلارد؟

- لا يا كابتن هيستنغز، إنه زميلي المواطن الأمريكي السيد شنايدر.

وسأل بوارو: وما هي أسباب الوفاة؟

- التيتانوس.

تجمدت في مكاني من الرعب وقد شلت المفاجأة تفكيري، وخُيّل إليّ أن كل ما حولي يعطي شعوراً بالشر والخطر المحدق، ومرت بخاطري فكرة رهيبة: فلنفترض أنني كنت الضحية التالية؟

وقال بوارو بصوت خافت للغاية: يا إلهي! إنني لا أفهم هذا الذي يحدث، هذا مريع! قل لي بربك يا سيدي، هل أنت واثق من أن التيتانوس هو السبب الحقيقي؟

- أنا لا أعتقد ذلك، ولكن الدكتور أميس سوف يخبرك بالمزيد من التفاصيل.

- آه، إذن فلست الطبيب بالطبع؟

- اسمي توسويل.

إذن فهذا هو الخبير البريطاني الذي وصفته الليدي ويلارد بأنه موظف رسمي مغمور بالمتحف البريطاني. وداخلني شعور منذ اللحظة الأولى أن هذا الرجل يخفي وراءه سراً رهيباً.

وأردف الدكتور توسويل يقول: لو أنكم جئتم معي فسوف أصحبكم إلى السير جاي ويلارد، فقد كان في أشد حالات اللهفة وطلب إخطاره بوصولكم في الحال.

عبرنا معسكر البعثة إلى الجانب الآخر حيث كانت

توجد خيمة كبيرة، ورفع الدكتور توسويل الغطاء ودخلنا لنجد ثلاثة رجال، وقال توسويل: المسيو بوارو والكابتن هيستنغز وصلا للتو يا سير جاي.

قفز أصغر الرجال الثلاثة من مقعده وخف لتحيتنا، وكان في تصرفاته شيء من الطيش ذكّرنا بأمه. ولم تكن الشمس قد صبغت بشرته كالآخرين، وبالإضافة إلى الدوائر السوداء المحيطة بعينيه كان يبدو أكبر من عمره الحقيقي بكثير، ولم يكن الشاب قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره، وكان يبدو أنه يعاني من توتر عصبي شديد.

وقدم لنا الشاب زميله الدكتور أميس، وهو في الثلاثين من عمره ويبدو عليه الذكاء والحيوية، وقد تسرب الشعر الرمادي إلى سوالفه، والسيد هاربر سكرتير البعثة، وهو شاب مرح يضع على عينيه نظارات ذات إطار ذهبي. وبعد بضع دقائق من الحديث المتفرق انسحب الأخير ثم تبعه الدكتور توسويل، وظللنا وحدنا مع السير جاي والدكتور أميس، وقال ويلارد: أرجوك أن توجه ما تشاء من الأسئلة يا مسيو بوارو، إننا في أشد حالات الذهول لسلسلة النكبات الغريبة التي وقعت تباعاً، ولكنها لا يمكن أن تكون سوى مجرد مصادفات.

كان الشاب يتحدث بعصبية، ولاحظت أن بوارو يدرس الشاب بعناية، وقال بوارو: هل تقبل على هذا العمل يا سير جاي بحماس حقيقي؟

- نوعاً ما. لا أهمية لما يحدث أو ينتج عن هذا العمل، فالأمور تسير. ضع هذا في تقديرك.

التفت بوارو للرجل الآخر قائلاً: وما رأيك أنت فيما يحدث يا سيدي الطبيب؟

تكلم الطبيب ببطء قائلاً: حسناً، أنا شخصياً ضد الرأي الذي ينادي بتوقف العمل.

عبس وجه بوارو بطريقة معبّرة وهو يقول: إذن فمن الضروري أن نعرف طبيعة الأرض التي نقف عليها. متى حدثت وفاة السيد شنيدر؟

- منذ ثلاثة أيام.

- هل أنت واثق أنها كانت نتيجة الإصابة بالتيتانوس؟

- تمام الثقة.

- ألا يمكن أن تكون نتيجة تسمم بالإستركنين على سبيل المثال؟

- كلا يا مسيو بوارو. إنني أفهم ما ترمي إليه، ولكنها كانت حالة تيتانوس واضحة كل الوضوح.

- ألم تحقن المريض بالمصل المضاد؟

أجابه الطبيب بجفاف: لقد فعلت ذلك بكل تأكيد، وقد بذلت أقصى ما في طاقتي ولم أترك محاولة لإنقاذ حياة المريض دون أن ألجأ إليها.

- هل كان المصل المضاد موجوداً معك؟

- كلا، طلبنا المصل من القاهرة.

- هل حدثت في المعسكر حالات إصابة أخرى بالتيتانوس؟

- كلا، مجرد هذه الحالة.

- هل أنت واثق من أن وفاة السيد بلينر لم تكن نتيجة الإصابة بالتيتانوس؟

- متأكد تمام التأكد، لقد أصيب إصبعه بجرح وتسمم الجرح، ولقد حدث نفس الشيء لواحد من العمال الذين يعملون مع البعثة الآن إلاّ أن الحالتين مختلفتان تماماً.

- معنى هذا أن أربع حالات وفاة قد وقعت، وكلها مختلفة تمام الاختلاف. حدثت واحدة نتيجة هبوط في القلب، والثانية نتيجة تسمم في الدم، والثالثة انتحار، والأخيرة نتيجة الإصابة بالتيتانوس.

- تماماً يا مسيو بوارو.

- هل أنت واثق من أنه لا يوجد ثمة ارتباط بين تلك الوفيات؟

- لا أفهم ما تعنيه على وجه التحديد.

- سوف أضع السؤال في صيغة أبسط: هل صدر من أي واحد من الأربعة الذين ماتوا ما يشير إلى عدم احترامه لروح منقرع؟

حملق الطبيب في وجه بوارو بدهشة ثم قال: إنك تفكر تفكيراً غريباً يا مسيو بوارو. من المؤكد أنك لا يمكن أن تكون من هؤلاء الذين يصدقون ذلك الهراء الذي يشاع؟

ثم تمتم ويلارد بغضب: هذا مجرد هراء!

ظل بوارو على هدوئه ولم يبدُ عليه من الانفعال سوى رمشة من عينه الخضراء كعيون القطط، ثم قال بمنتهى الهدوء: إذن فأنت لا تؤمن بذلك يا سيدي الطبيب؟

قال الطبيب بلهجة التأكيد: نعم يا سيدي، أنا لا أؤمن بتلك الخرافات. إنني رجل علم ولا أؤمن بغير ما يعلمه العلم.

وسأله بوارو برقة: ألم يكن هنالك علم إذن في مصر القديمة؟

لم ينتظر بوارو حتى يتلقى الإجابة على سؤاله. وكان الضيق قد بدا بوضوح على وجه الدكتور أميس، وأردف بوارو يقول على الفور: كلا، كلا، لا تجب على سؤالي، ولكن أجب على هذا السؤال: ما هو رأي العمال الوطنيين؟

- أعتقد أن الرجال البيض عندما يفقدون صوابهم فلا بد أن يكون الوطنيون متخلفين وراءهم بمسافة بعيدة. واعترف لك أنهم بدؤوا يشعرون بالرعب، ولكن مخاوفهم لا تستند إلى أي أساس.

قال بوارو ببساطة دون أن يعلق على هذه الملاحظة: كم أعجب!

مال السير جاي إلى الأمام وهو يقول: بالتأكيد لا يمكن أن تعتقد في هذه الـ... ولكن هذه الأفكار سخيفة. إذا كان هذا هو تفكيرك عن مصر القديمة فأنت لا تعرف عنها شيئاً.

ورداً على ذلك أخرج بوارو من جيبه كتاباً صغيراً، وكان الكتاب عتيقاً بالياً. وبينما كان بوارو يمسك الكتاب بين يديه قرأت العنوان «السحر لدى المصريين والكلدانيين». وغادر بوارو الخيمة، وحملق الطبيب في وجهي وهو يقول: ماذا يريد أن يقول؟

- أعترف أنني لا أفهم وجهة نظره تماماً، وأعتقد أن لديه خطة لطرد الأرواح الشريرة.

خرجت لأبحث عن بوارو، وعثرت عليه وهو يتحدث مع هاربر الشاب النحيل الذي كان يعمل سكرتيراً لبلينر قبل وفاته، وكان السيد هاربر يقول: لا، لم يمضِ على فترة عملي مع البعثة أكثر من ستة شهور. نعم، لقد كنت أعرف أعمال السيد بلينر معرفة جيدة.

- هل تستطيع أن تروي لي أي شيء يتعلق بابن أخيه المدعو روبرت؟

- لقد ظهر هنا فجأة، وكان شاباً حسن المظهر. ولم يسبق لي أن التقيت بالشاب قبل ذلك وإن كان بعض أعضاء البعثة قد التقوا به كالدكتور أميس وشنايدر على ما أظن. ولم يرحب الرجل العجوز بظهور ابن أخيه أبداً وكان الشجار يقع بينهما في كل لحظة، وقد سمعت الرجل العجوز يقول له

ذات مرة: "لن أعطيك سنتاً واحداً. لا الآن ولا بعد موتي، سوف أترك كل ثروتي لاستئناف العمل الذي كرست له حياتي، لقد كنت أتحدث اليوم في ذلك مع السيد شنيدر". ولم يبقَ روبرت بلينر الشاب بعد ذلك طويلاً وتركنا إلى القاهرة.

- هل كان يتمتع في ذلك الوقت بصحة جيدة؟

- تعني الرجل العجوز؟

- لا، بل أقصد الشاب.

- أعتقد أنه لم يذكر أي شيء عن اعتلال صحته، ولا يمكن أن يكون الشاب فريسة مرض خطير وإلاّ لكان من السهل عليّ أن أفطن إلى ذلك.

- سؤال آخر، هل ترك السيد بلينر وصية؟

- على ما نعلم لم يترك وصية.

- هل أنت باقٍ مع البعثة يا سيد هاربر؟

- لا يا سيدي، ليس في نيتي الاستمرار في العمل مع البعثة وسوف أعود إلى نيويورك بمجرد تسوية الأمور هنا. تستطيع أن تسخر مني إذا شئت، ولكنني لا أحب أن أكون الضحية التالية لذلك الملف المخيف «منقرع»... سوف ينالني حتماً إذا استمررت في البقاء هنا!

مسح الشاب العرق الذي كان يتصبب على حاجبه،

وأدار له بوارو ظهره وقال وهو يبتسم ابتسامة غريبة: تذكر أنه نال واحداً من ضحاياه وهو في نيويورك.

فقال السيد هاربر بعصبية: أوه، يا للجحيم!

قال بوارو وهو يفكر ملياً: هذا الشاب متوتر الأعصاب. إنه على حافة الانهيار، على حافة الانهيار تماماً.

رمقت بوارو بدهشة، ولكن ابتسامته الغامضة لم تكشف عن شيء. وذهبنا في صحبة السير جاي ويلارد والدكتور توسويل إلى موقع الحفريات، وكانت الاكتشافات الأثرية الجديدة قد نُقلت إلى القاهرة، ولكن بعض أثاث المقبرة كان مثيراً للغاية. وكان حماس الشاب النبيل للعمل واضحاً، ولكنني لمست فيه بعض التوتر، وأحسست بأن الشاب لم يتخلص من كل المخاوف وأنه لا يزال يخشى تهديداً غامضاً يحوم حول المكان.

وبينما كنا نستعد لدخول الخيمة التي خُصّصت لنا لكي نغتسل قبل التأهب لتناول وجبة العشاء صادفنا رجل طويل أسمر يرتدي جلباباً أبيض وحيّانا باللغة العربية، فتوقف بوارو قائلاً: هل أنت حسّان الذي كان يقوم بخدمة السير جون ويلارد قبل وفاته؟

- كنت أخدم سيدي السير جون والآن أنا في خدمة ابنه.

اقترب الرجل خطوة منا وهو يقول بصوت هامس: لقد

سمعتهم يقولون إنك رجل حكيم وإنك خبير في التعامل مع الأرواح الشريرة. ساعد السيد الصغير على الرحيل من هنا، الشر يحوم حولنا في هذا المكان.

ولم ينتظر الرجل رداً على كلامه بل انسحب مسرعاً، وتمتم بوارو: الشر يحوم حول المكان؟ نعم، هذا ما أحس به.

تحدث الدكتور توسويل أثناء العشاء عن الآثار المصرية، وبينما كنا نستعد للانسحاب بعد تناول العشاء أمسك السير جاي بذراع بوارو وأشار إلى الخارج. كان هنالك شبح مظلم يتسلل بين الخيام، ولم يكن شبح إنسان. واستطعت أن أميز بوضوح جسداً يعلوه وجه كلب، وهو المنظر الذي شاهدته قبل ذلك منقوشاً على جدران المقبرة. كاد الدم يتجمد في عروقي من الرعب، وتمتم بوارو في وجل: يا إلهي! أنوبيس الذي له رأس ابن آوى، إله الأرواح الراحلة عند المصريين القدماء؟!

وصاح الدكتور توسويل وهو يقف على قدميه في غضب: إن شخصاً ما يحاول إثارة الفزع في قلوبنا.

وتمتم السير جاي وقد امتقع لونه بشكل واضح: لقد ذهب إلى خيمتك يا هاربر.

- كلا، إنه يتجه إلى خيمة الدكتور أميس.

حملق الطبيب في وجهه بدهشة، ثم كرر كلمات

الدكتور توسويل وصاح بانفعال: يحاول بعضهم أن يسخر منا، هيا بنا نمسك بذلك الشخص.

اندفع الطبيب إلى الخارج في محاولة للإمساك بالشبح وانطلقت وراءه، ورغم البحث الجاد في كل مكان من المعسكر لم نعثر على شيء فعدنا أشد قلقاً لنجد بوارو جالساً في مكانه يتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه شخصياً. كان يتمتم بكلمات غامضة ويدور حول الخيمة التي خصصت لنا وهو يرسم على الرمال أشكالاً ورسوماً غامضة، وكان يتحدث في نفس الوقت عن الأرواح الشريرة والسحر بصفة عامة، السحر الأبيض في مواجهة السحر الأسود، مع إشارات مختلفة إلى ما ورد في كتاب الموتى عند المصريين القدماء.

أثار سلوك بوارو احتقاراً شديداً لدى الدكتور توسويل الذي جذبني من ذراعي وانتحى بي جانباً وهو يقول: دجل يا صاحبي، مجرد دجل. هذا الرجل دجال! إنه لا يعرف الفرق بين خرافة العصور الوسطى والعقائد في مصر القديمة، لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الجهل.

حاولت أن أهدئ ثائرة العالم الغاضب ولحقت ببوارو في الخيمة، وكان صديقي يبتسم في سرور زائد وهو يقول: الآن نستطيع أن ننام في هدوء، إن رأسي مصدع تماماً.

شاهدت باب الخيمة يفتح ورأس حسّان يطل منه وهو يحمل قدحاً يتصاعد منه البخار وقدمه لبوارو، واتضح لي

أنه قدح من البابونج، وهو شراب محبب لبوارو. وعندها شكره بوارو بينما رفضت قدحاً من المشروب عرضه عليّ الرجل.

انسحب حسّان وتركنا وحدنا مرة ثانية، ووقفت بالقرب من الباب بعد أن خلعت ملابسي ونظرت إلى الصحراء وقلت بصوت مرتفع: مكان رائع، وعمل رائع. إنني أشعر بالسحر الذي يشع من حياة الصحراء التي تتوسط قلب العالم المتحضر. لا شك أنك تحس بنفس المشاعر يا بوارو؟

لم أتلق رداً على سؤالي مما سبب لي بعض الضيق، وسرعان ما تحول ضيقي إلى قلق، فقد كان بوارو راقداً على الحشية الخشنة ووجهه يتقلص بشكل بشع وبجواره القدح خالياً من الشراب. واندفعت إليه فرأيته يحملق في وجهي بذهول دون أن يتكلم.

أسرعت إلى خيمة الدكتور أميس وطالبته بالإسراع إلى الخيمة، فقال الطبيب الذي كان يرتدي البيجامة: ما الذي حدث؟

– صديقي، إنه مريض. لعله يموت! إنه شراب البابونج... لا تسمح لحسّان بمغادرة المعسكر.

اندفع الطبيب إلى الخارج، وكان بوارو في نفس الوضع الذي تركته عليه. وصاح أميس: شيء غير عادي، يبدو كما لو كان شللاً. ما الذي قلت إنه شربه؟

أمسك الطبيب القدح الفارغ، وفجأة تردد صوت هادئ يقول: ولكن الذي حدث أنني لم أشربه!

نظرنا إلى بوارو في دهشة. وكان بوارو يجلس في تلك اللحظة فوق السرير ناظراً إلينا بابتسام وقال: نعم، لم أتناول الشراب. فبينما كان صديقي هيستنغز يتغنى بسحر الصحراء انتهزت الفرصة وسكبت الشراب، لم أسكبه في حلقي وإنما في زجاجة صغيرة، وهذه الزجاجة الصغيرة سوف تُرسَل إلى المعمل لتحلل كيميائياً.

وهنا اندفع الطبيب في حركة مفاجئة فصاح بوارو: كلا، إنك كرجل عاقل تدرك أن العنف لن يجدي. لقد انتهزت فرصة ذهاب هيستنغز ليناديك فأخفيت الزجاجة في مكان أمين. قيّد حركته بسرعة يا هيستنغز.

لم أفهم في الوقت المناسب سبب لهفة بوارو على أن أنفذ أوامره، ووقفت أمامه لأدفع عنه أي خطر يمكن أن يهدد حياته. ولكن حركة الطبيب السريعة كان لها معنى آخر، فقد انتهز الفرصة وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة وأفرغ السائل في جوفه، وتصاعدت في الجو رائحة نفاذة، وترنح الطبيب ثم سقط على الأرض.

قال بوارو بأسى: ضحية أخرى، ولكنها الأخيرة. ربما كانت هذه أفضل الوسائل، ولكن دم ثلاث ضحايا سوف يظل معلقاً برأسه.

وصحت في دهشة: الدكتور أميس؟ ولكنني كنت أعتقد

أنك تنسب الأحداث إلى بعض القوى الغامضة.

– لقد أسأتَ فهمي يا هيستنغز. كل ما كنت أعنيه أنني أعتقد في القوى المرعبة للخرافات. يكفي أن يستقر في الأذهان أن سلسلة من الوفيات قد حدثت بطريقة خارقة للطبيعة لكي تستطيع في ظل هذا الجو أن تطعن رجلاً في وضح النهار فيقال إنها اللعنة. إن هذه الخرافات متأصلة في النفس البشرية، وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن شخصاً يفيد من هذه الغريزة، ولقد جاءته الفكرة على ما أعتقد عند وفاة السير جون ويلارد وتمكنت الخرافة في الحال من السيطرة على كل العقول. وعلى حسب اعتقادي فإن أحداً لم يرَ أي منفعة يمكن أن تتحقق من وفاة السير جون ويلارد، ولكن الموقف يختلف بالنسبة للسيد بلينر، فهو رجل يمتلك ثروة ضخمة وقد تضمنت المعلومات التي تلقيتها من نيويورك بعض النقط المفيدة، أولها أن روبرت بلينر الشاب قرر أن له في مصر صديقاً طيباً يستطيع أن يقترض منه، والمفهوم بداهة أنه يقصد عمه، ولكنني فكرت في أنه لو كان يعني عمه حقاً لذكر ذلك صراحة، ومن ثم فإن الشاب كان يعني صديقاً عزيزاً. والنقطة الثانية هي أنه استطاع تدبير مبلغ يكفي لتغطية نفقات السفر إلى مصر، وقد رفض عمه أن يعطيه بنساً واحداً، ومع هذا فقد استطاع الشاب أن يحصل على المال الكافي لرحلة العودة، وعلى هذا الأساس فلا بد أن شخصاً قد أقرضه المال.

قلت معترضاً: كل هذه الحقائق لا تعتبر أدلة دامغة.

- توجد حقائق أخرى يا هيستنغز. قد ينطق الإنسان ببعض الألفاظ التي يقصد من ورائها المعنى المباشر، ولكنها تؤخذ على أنها تعبير مجازي. كما يحدث العكس عندما يقول الإنسان شيئاً يقصد معناه المجازي فيؤخذ الكلام بمعناه الحرفي. وقد كانت كلمات بلينر التي ذكرها في خطابه واضحة تمام الوضوح: "أنا أبرص"! ولم يتنبه أحد إلى أنه قد أطلق الرصاص على نفسه لأنه كان يعتقد أنه أصيب بجرثومة مرض الجذام اللعين.

قلت بدهشة: ماذا تقول؟!

- لقد كان ذلك نتاج عبقرية عقل شيطاني. كان بلينر الشاب يعاني من آلام مرض جلدي بسيط، وكان قد عاش بعض الوقت في جزر بحر الجنوب حيث ينتشر مرض الجذام. وكان أميس صديقاً قديماً لبلينر الشاب فلم يكن بلينر الشاب ليشك في صدق الطبيب أو يرتاب في صحة تشخيصه للمرض. وهكذا استطاع الدكتور أميس أن يقنع الشاب بأنه مصاب بالجذام. وعندما وصلت إلى هذا المكان توزعت شكوكي بين هاربر والدكتور أميس، ولكنني سرعان ما أدركت أن الطبيب وحده هو الذي يستطيع أن يدبر تلك الجرائم ويخفيها، وقد عرفت من هاربر أنه كان على علاقة سابقة ببلينر الشاب، ومما لا شك فيه أن الأخير كان قد أمّن على حياته لصالح الطبيب أو كتب وصية لصالحه، ووجد الأخير الفرصة سانحة للحصول على الثروة. وكان من السهل عليه أن يحقن السيد بلينر العجوز بالجراثيم القاتلة،

وعندما استولى اليأس على الشاب حين أرسل له الطبيب بالأنباء المزعجة عن وفاة عمه بنفس مرضه أطلق الرصاص على نفسه. وأياً كانت نوايا السيد بلينر فإنه لم يترك وصية، ومن المفروض أن تنتقل الثروة إلى ابن أخيه ومن هذا الأخير إلى الطبيب بعد ذلك.

- وماذا بشأن السيد شنيدر؟

- لا نستطيع أن نجزم برأي قاطع. كان هو أيضاً يعرف بلينر الشاب وربما يكون قد شك في شيء، أو لعل الطبيب فكر في حدوث وفاة جديدة ليس لها هدف قد تعزز قصة الخرافة التي أشيعت عن لعنة الفراعنة. وفضلاً عن هذا فسوف أذكر لك حقيقة سيكولوجية مثيرة يا هيستنغز: إن القاتل يشعر دائماً برغبة ملحة في أن يكرر جريمته الناجحة، ومن هنا شعرت بالخوف على ويلارد الشاب. أما شبح أنوبيس الذي رأيته الليلة فلم يكن سوى حسّان الذي تنكر في ذلك الزي بناء على أوامري، وكانت خطتي أن أحاول إدخال الرعب على قلب الطبيب، ولكن الأمر كان يحتاج إلى ما هو أكبر من الأمور الخارقة للطبيعة لإخافته، وقد اتضح لي أنه لم يكن مقتنعاً بفكرة اللعنة. لقد قمت بتمثيل الكوميديا التي تخدعه وتوقعت أن يقوم بمحاولة جديدة ليتخلص مني، ولكن بالرغم من رحلة البحر ومتاعبها والحرارة القاسية ومضايقات الرمل فإن خلايا المخ الصغيرة كانت لا تزال تعمل بإحكام!

وثبت أن بوارو كان محقاً في استنتاجاته، فقد حدث

منذ بضع سنوات أن كتب بلينر الشاب وصية على سبيل المزاح بعد أن أفرط في الشراب قال فيها: "إنني أترك علبة السجاير الذهبية وأي شيء آخر يكون ملكاً لي ساعة موتي... يؤول كل ذلك إلى الصديق العزيز روبرت أميس الذي أنقذ حياتي من الغرق ذات يوم".

انتهت القضية عند ذلك الحد. وحتى هذا اليوم لا يزال الناس يتحدثون عن سلسلة الوفيات التي ارتبطت بالكشف عن مقبرة «منقرع» على أساس أنه دليل قائم على صدق قصة لعنة الفراعنة التي تصيب كل من يعبث بقبورهم، وهو اعتقاد -على حد ما يقول بوارو- يختلف تمام الاختلاف مع أفكار المصريين القدماء وعقائدهم.

* * *

الجوهرة المفقودة

كنت واقفاً أتطلع بكسل من إحدى نوافذ مسكن بوارو عندما صحت فجأة: يا له من أمر غريب!

وقال بوارو بهدوء: ما هو ذلك الأمر الغريب يا صديقي؟

- لك أن تستنتج بنفسك من الحقائق التالية يا بوارو: سيدة شابة ترتدي ثياباً فاخرة على أحدث موضة وتضع قبعة على رأسها وفراء ثميناً على كتفيها. إنها تسير ببطء في الشارع متلفتة إلى البيوت التي تمر بها، ويلاحقها كظلها دون أن تفطن إلى ذلك ثلاثة رجال وسيدة في منتصف العمر، وقد انضم إليهم على التو صبي يشير إلى الشابة الحسناء وهو يتحدث إليهم. ترى أية مأساة تلك التي تجري الآن؟ هل تكون السيدة محتالة والرجال الذين يتبعونها من المخبرين الذين يعدون العدة للقبض عليها، أم يكون الرجال من المجرمين الذين يستعدون للهجوم على الضحية البريئة؟ ماذا يقول المخبر العظيم تعليقاً على ذلك؟

قال بوارو وهو يغادر مقعده: يختار المخبر العظيم -كما هي العادة- أبسط الطرق، سوف ينهض ليرى الوقائع بنفسه.

وانضم بوارو إليّ ليتطلع إلى النافذة، وسرعان ما انطلق يضحك في مرح وهو يقول: إنك تضفي كعادتك على

الوقائع مسحة من الخيال، هذه هي ماري مارفيل النجمة السينمائية المشهورة، والذين يتبعونها ليسوا سوى حفنة من المعجبين الذين تعرفوا على شخصيتها. ومجرد ملاحظة عابرة يا صديقي المفتش هيستنغز: السيدة واعية تماماً لما يجري حولها!

ضحكت وأنا أقول له: إذن فقد أوضحت المسألة برمتها. ولكنك لا تستحق أي درجات على ذلك يا بوارو، فلم تكن المسألة أكثر من تعرّف على الشخصية.

- أحقاً؟ هل تتذكر كم مرة شاهدت ماري مارفيل على الشاشة يا صديقي العزيز؟

فكرت قليلاً قبل أن أجيب بقولي: نحو عشر مرات.

- أما أنا فلم أرها سوى مرة واحدة، ومع هذا فقد عرفتها ولم تعرفها أنت.

قلت بخجل: لقد تغير شكلها كثيراً.

وصاح بوارو قائلاً: يا الله! هل كنت تتوقع أن تراها تسير في شوارع لندن مرتدية قبعة رعاة البقر، أم تسير بلا حذاء وخصلات من شعرها تتدلى كالفتاة الضالة؟ هل تذكر قضية الراقصة فاليري سانتكلير؟

هززت كتفي في مرارة بينما أردف بوارو يقول: ولكن لا تحزن يا صديقي العزيز، فلا يستطيع كل الناس أن يصبحوا هيركيول بوارو، إنني أعرف ذلك جيداً!

صحت في وجهه بمزيج من الضحك والضيق: إنك تمتدح نفسك على وجه لم أره في إنسان غيرك!

فقال بوارو في زهو: وماذا كنت تفعل لو كنت مكاني؟ عندما يرى الإنسان نفسه فريداً في نوعه ويعي ذلك جيداً، وعندما يشاركه الآخرون الرأي حتى... إذا لم أكن مخطئاً فإن ماري مارفيل...

وهنا سكت بوارو فقلت: ماذا كنت تنوي أن تقول؟

- إنها تقصدنا دون أدنى شك.

- وكيف استنتجت ذلك؟

- الأمر في غاية البساطة. ليس هذا الشارع أرستقراطياً يا صديقي العزيز، ولا يوجد فيه طبيب مشهور أو عيادة أسنان حديثه، كما لا توجد فيه بيوت أزياء. ولكن يوجد مخبر على الموضة! نعم يا صديقي العزيز، هذا صحيح. لقد أصبحت موضة... الصيحة الأخيرة! إذ ضاعت حافظة أقلام من أحد الأشخاص قيل له اذهب إلى المخبر البلجيكي الصغير الحجم فهو رائع جداً! أسرع إليه! وأجدهم يتوافدون عليّ زرافات ووحداناً يا صديقي العزيز بينما مشاكل كل بعضهم غاية في التفاهة.

دق جرس الباب فقال بوارو: هذه هي السيدة مارفيل.

كان بوارو صادق الحدس كما هي العادة، ودخلت بعد لحظات النجمة الأمريكية، وكانت بلا شك من أكثر

نجوم السينما شعبية. وكانت الممثلة الأمريكية قد وصلت إلى إنجلترا مؤخراً في صحبة زوجها جريجوري رولف (وهو بدوره ممثل سينمائي)، وكان زواجهما قد تمّ منذ عام في الولايات المتحدة، وكانت هذه أول زيارة يقومان بها لإنجلترا. وأعد لهما استقبال ضخم، وكان الجمهور يتهافت على رؤية النجمة الأمريكية ليرى بنفسه ملابسها الرائعة وفراءها ومجوهراتها، وبصفة خاصة ماسة كبيرة يطلق عليها اسم «نجمة الغرب». وقد كتب الكثير عن تلك الماسة وقيل إنها مؤمّن عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه.

مرت بخاطري كل هذه التفاصيل وأنا أنضم لبوارو في الترحيب بالزائرة الحسناء الرقيقة، وكانت مارفيل نحيلة رقيقة تبدو أقرب شبهاً بالبنات الصغيرات، ذات عينين زرقاوين واسعتين فيهما براءة الطفولة.

وقدم لها بوارو مقعداً فبدأت حديثها على الفور قائلة: ربما فكرت يا مسيو بوارو أنني شديدة الحماقة، ولكن اللورد كرونشو كان يحدثني في الليلة الماضية عن الطريقة الرائعة التي أمطت بها اللثام عن موت ابن عمه، وقد رأيت أن أطلب مشورتك في مشكلتي. ربما تكون مشكلة تافهة (هكذا يصفها جريجوري) ولكنها تزعجني غاية الإزعاج.

سكتت الممثلة الأمريكية برهة لتلتقط أنفاسها، وقال بوارو في محاولة لاستدراجها للحديث: أكملي قصتك، فإنني لا زلت في الظلام.

قالت وهي تفتح حقيبة يدها وتخرج منها ثلاثة خطابات سلمتها لبوارو: إنها هذه الخطابات.

فحص بوارو مظاريف الخطابات بعناية وهو يقول: إنها مكتوبة على ورق رخيص، وقد كُتب الاسم والعنوان على الآلة الكاتبة بعناية. فلنرَ ما بداخلها.

اقتربتُ من بوارو لألقي نظرة على الخطاب، وكانت الرسالة عبارة عن جملة واحدة مكتوبة أيضاً على الآلة الكاتبة تقول: "الماسة الكبيرة هي العين اليسرى للإله، ويجب أن تعود من حيث جاءت". ولم تخرج عبارات الخطاب الثاني عن المعنى السابق، إلاّ أن كلمات الخطاب الثالث كانت تقول: "لقد حذرناك فلم تستجيبي. والآن نقول إن الماسة سوف تؤخذ منك، وعندما يصبح القمر بدراً سوف تنضم الماستان اللتان كانتا العينين اليمنى واليسرى للإله لتعودا إلى مكانهما".

وقالت مارفيل: لقد اعتبرت الخطاب الأول مجرد مزاح، ولكنني بدأت أشعر بالدهشة عندما تلقيت الخطاب الثاني، وعندما تلقيت الخطاب الثالث بالأمس أدركت أن الأمر أخطر مما كنت أتصور.

قال بوارو: من الواضح أن هذه الخطابات لم تصلك عن طريق البريد.

- نعم، لقد سلمها باليد رجل صيني، وهذا ما يملؤني رعباً.

- لماذا؟

- لأن جريجوري اشترى تلك الماسة من رجل صيني في سان فرانسيسكو منذ ثلاثة أعوام.

- أرى يا سيدتي أنك تعتقدين أن الماسة المقصودة هي...

سكت بوارو لتكمل الممثلة الحديث قائلة: «نجمة الغرب». هذا صحيح، ويذكر جريجوري أن ثمة أسطورة كانت مقرونة بتلك الماسة إلاّ أن البائع الصيني لم يرغب في الحديث عنها. كانت الأسطورة تفزعه فزعاً مميتاً دفعه إلى الرغبة في التخلص من الماسة بعشر ثمنها. لقد كانت هذه الماسة هدية زواجي من جريجوري.

وقال بوارو وهو يهز رأسه مفكراً: تبدو القصة خيالية بعيدة عن التصديق، ومع هذا فمَن يدري؟ أرجوك يا هيستنغز أن تناولني مجلد «التقويم».

وعندما أمسك بوارو المجلد بين يديه قال وهو يقلب أوراقه: فلننظر متى يكون موعد اكتمال القمر بدراً. آه، إنه يوم الجمعة المقبل، أي بعد ثلاثة أيام. حسناً يا سيدتي، أنت تريدين رأيي وإليك نصيحتي: ربما كان الموضوع مجرد مزاح وقد لا يكون الأمر كذلك، ولهذا أنصحك أن تعهدي إليّ بالمحافظة على الماسة إلى ما بعد يوم الجمعة، وحينئذٍ نتخذ ما يحلو لنا من خطوات.

مرت سحابة قلق خفيفة على وجه الممثلة ثم قالت: أخشى أن يكون ذلك ضرباً من المستحيل.

- إذن فأنت تريدين الاحتفاظ بها معك؟

ترددت الممثلة برهة ثم دست يدها في صدرها وأخرجت سلسلة رفيعة طويلة، ثم فتحت قبضة يدها لتبدو الماسة المتوهجة في راحة يدها مغلفة بإطار من البلاتين. وهمس بوارو في إعجاب: مدهشة، هل تسمحين أن ألقي نظرة عليها؟

أمسك بوارو الماسة وأخذ يفركها بيده باهتمام ثم أعادها لصاحبتها وهو ينحني انحناءة خفيفة قائلاً: إنها ماسة رائعة وليس فيها خدش واحد، وأنت تغامرين بحمل هذا الكنز.

وقالت الممثلة: لا، لا يا مسيو بوارو. إنني شديدة الحرص عليها في الواقع، وأنا في العادة أضعها في صندوق المجوهرات الذي أودعه في خزانة الفندق. نحن نقيم في فندق ماجنيفسنت، وقد أحضرتها معي اليوم فقط لأعرضها عليك.

- وسوف تتركينها معي، أليس كذلك؟ هذا ما ينصحك به بابا بوارو.

- حسن يا مسو بوارو. ولكننا سوف نذهب إلى ياردلي تشيس يوم الجمعة لنقضي بضعة أيام مع اللورد ياردلي وقرينته.

أثارت كلماتها تلك في رأسي عاصفة من الذكريات

المبهمة، بعض الإشاعات التي سمعتها من قبل. منذ بضع سنوات قام اللورد والليدي ياردلي بزيارة للولايات المتحدة، وراجت الإشاعات حول مغامرات نسائية للورد ياردلي، ولكن الأمر المؤكد أن إشاعات أخرى ترددت عن علاقة الليدي ياردلي بأحد ممثلي السينما. وتذكرت القصة كلها في لحظة خاطفة، لقد كانت تلك العلاقة مع جريجوري رولف.

واستأنفت مارفيل حديثها قائلة: سأطلعك على سر يا مسيو بوارو. سوف نبرم صفقة مع اللورد ياردلي، حيث نعد العدة الآن لالتقاط فيلم في الضيعة التي ورثها عن أجداده.

وصحت باهتمام: في ياردلي تشيس؟ إنها واحدة من أشهر الأماكن التي يقبل عليها الزوار في إنجلترا.

هزت مارفيل رأسها مؤمّنة وأردفت تقول: أعتقد أنها واحدة من مخلفات عهد الإقطاع. ولكن اللورد يادرلي يطلب أجراً باهظاً لقاء التقاط مناظر الفيلم في ممتلكاته، ولا أدري في الواقع ما إذا كانت الصفقة سوف تتم، إلاّ أنني وجريجوري نتوق إلى إتمام الصفقة.

قلت في تردد: ولكنك تستطيعين زيارة ياردلي تشيس دون أن تأخذي الماسة معك يا سيدتي؟

تبددت النظرات الطفولية من عيني الممثلة وبدت أكبر سناً، ثم قالت بعد برهة: ولكنني أريد أن ألبس السلسلة هنالك.

وقلت على الفور: توجد بكل تأكيد مجموعة ضخمة من المجوهرات النادرة لدى الليدي ياردلي، ومن بينها ماسة كبيرة.

- نعم.

وسمعت بوارو يهمس بين أنفاسه: "آه، إذن فهذا هو السبب"، ثم أردف يقول بصوت مرتفع: إذن فأنت ولا شك على معرفة سابقة بالليدي ياردلي، أم لعله زوجك الذي يعرفها؟

ترددت مارفيل برهة قبل أن تجيب بقولها: لقد عرفها جريجوري منذ ثلاث سنوات عندما كانت في زيارة لأمريكا. هل أتيح لأحدكما أن يقرأ مجلة «همسات المجتمع»؟

أجاب كلانا بالنفي، وأردفت الممثلة تقول: لقد وجهت هذا السؤال لأن العدد الصادر هذا الأسبوع يتضمن مقالاً عن الجواهر المشهورة، ومن المثير للدهشة حقاً أن...

أمسكت الممثلة عن إتمام حديثها، وذهبت إلى الجانب الآخر من الحجرة لأبحث عن المجلة موضوع الحديث على منضدة صغيرة، وعندما عثرت عليها أخذتها الممثلة، وعندما وجدت المقال بدأت تقرأ بصوت مرتفع:

ويمكن أن يضاف إلى الأحجار الكريمة المشهورة «نجمة الشرق»، وهي ماسة من بين المجموعة التي تقتنيها أسرة ياردلي. جاء بهذه الماسة أحد أسلاف اللورد ياردلي عند عودته من الصين، ويقال إن

قصة خيالية تحوم حول الماسة، وحسبما تروي هذه القصة أن تلك الماسة كانت العين اليمنى لتمثال أحد الآلهة في معابد الصين القديمة، وأنه توجد ماسة مماثلة في الحجم واللون يقال إنها العين اليسرى للإله . وتشير القصة إلى أن هاتين الماستين ستتعرضان للسرقة، وأن واحدة سوف تذهب إلى الشرق والأخرى إلى الغرب ثم يتاح لهما أن تعودا إلى مكانهما الأول مرة أخرى حيث ينتصر الإله! ومن غريب المصادفات أنه توجد في الوقت الحاضر ماسة تنطبق عليها هذه الأوصاف يطلق عليه اسم «نجمة الغرب» أو «النجمة الغربية»، وهي في حوزة الممثلة السينمائية الشهيرة ماري مارفيل، ولعل المقارنة بين الماستين تكون أمراً مسلياً.

قال بوارو: مدهش! لا شك أنها قصة خيالية من الدرجة الأولى. ثم التفت نحو الممثلة قائلاً: وأنت يا سيدتي، ألا تخشين من التقاء الماستين في مكان واحد حتى لا يظهر أحد الصينيين ليختطفهما ويعيدهما إلى الصين؟

كان في لهجة بوارو بعض السخرية وإن كنت قد لمست فيها بعض الجد، وقالت الممثلة: لا أصدق أن ماسة الليدي ياردلي ترقى إلى مستوى ماستي، ومع هذا فسوف أذهب لأرى.

لم يكن في وسعي أن أخمن الكلمات التي كان بوارو يريد أن يضيفها، فقد فتح الباب في تلك اللحظة ودخل بطل القصة جريجوري رولف قائلاً: فكرت أن ألحق بك يا ماري.

حسناً، ما هو رأي المسيو بوارو في مشكلتنا الصغيرة؟ ألا يرى مثلي أنها مجرد مزحة؟

افترّ ثغر بوارو عن ابتسامة عريضة ثم قال: سواء أكان الأمر مزاحاً أم جداً فقد نصحت زوجتك بألا تأخذ الماسة معها إلى ياردلي تشيس يوم الجمعة المقبل.

قال رولف: أنا أشاركك نفس الرأي يا سيدي. هذا ما قلته لماري، ولكنها على ما أعتقد كسائر بنات جنسها تأبى أن ترى سيدة تتميز عليها في مجال المجوهرات.

فقالت ماري غاضبة: أي هراء هذا الذي تقول يا جريجوري؟

هزّ بوارو كتفيه قائلاً: سيدتي، لقد أسديت إليك النصح وليس لدي ما أضيفه.

انحنى بوارو لزائريه وهو يشيعهما إلى الباب، وعندما عاد إليّ قال: آه، يا للنساء! ولكن الزوج الطيب عرف كيف يضرب على الوتر الحساس، ومع هذا فلم يكن موفقاً في أسلوبه، لم يكن موفقاً قط.

رويت لبوارو ما علق في ذاكرتي من معلومات مبهمة، فهزّ رأسه موافقاً وهو يقول: هذا ما فكرت فيه، ورغم ذلك فيوجد شيء غامض وراء هذه القصة. سوف أخرج بعد إذنك يا صديقي العزيز في نزهة لأستنشق الهواء النقي، وأرجو ألا تغادر المكان قبل عودتي فلن أتغيب طويلاً.

كنت نصف نائم على المقعد عندما طرقت صاحبة

البيت الباب ثم أطلت برأسها قائلة: هناك سيدة أخرى ترغب في مقابلة المسيو بوارو.

ورغم أنني أخبرتها أنه في الخارج إلاّ أنها أصرت على الانتظار لأنها قادمة من الريف، فقلت: دعيها تدخل يا سيدة مارشيزون، فربما كان باستطاعتي مساعدتها.

وعندما دخلت السيدة بعد لحظات دق قلبي بعنف وقد تعرفت عليها، فقد كانت صور الليدي ياردلي تنشر بين الحين والحين في مجلة «أخبار المجتمع»، وقلت لها: تفضلي بالجلوس يا ليدي ياردلي. صديقي بوارو في الخارج ولكنني واثق من عودته خلال فترة قصيرة.

أعربت الليدي ياردلي عن شكرها أثناء جلوسها. كانت طرازاً مختلفاً كل الاختلاف عن السيدة مارفيل، فقد كانت طويلة ذات عينين براقتين ووجه أرستقراطي شاحب حزين. وفكرت في أن أرتفع إلى مستوى الموقف، ولِمَ لا؟ كنت أشعر أثناء وجود بوارو ببعض المشقة وعدم القدرة على استعراض مواهبي، فمما لا شك فيه أنني أمتلك أيضاً القدرة على التحليل والاستنتاج. وقلت بهدوء: ليدي ياردلي، إنني أعرف سبب مجيئك، لقد تلقيتِ خطاب تهديد بشأن الماسة.

ففتحت الليدي ياردلي فمها من الدهشة، وازداد شحوب وجهها وهي تقول بذعر: أنت تعرف؟ كيف؟

- عن طريق عملية استنتاج منطقي، فإذا كانت ماري مارفيل قد تلقت خطابات تحذير...

وقاطعتني الليدي بقولها: أكانت ماري مارفيل هنا؟

- نعم، وقد غادرت المكان منذ قليل. وكما كنت أقول، إذا كانت صاحبة إحدى الماستين قد تلقت تهديداً فمن الطبيعي أن تتلقى صاحبة الماسة الأخرى نفس خطابات التهديد، ألا ترين الأمر بسيطاً تماماً؟ هل أنا على حق في استنتاجي؟

ترددت الليدي لحظة وهي تفكر فيما إذا كانت تستطيع أن توليني ثقتها، ثم نكست رأسها في استسلام وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تقول: إن الأمر كما تقول.

- هل سلمت إليك الخطابات باليد عن طريق رجل صيني؟

- لا، لقد وصلتني بالبريد. ولكن خبرني، هل مرت السيدة مارفيل بنفس التجربة؟

قصصت عليها ما لدي من معلومات وهي تنصت باهتمام بالغ، ثم قالت: هذا يوضح الأمر، خطاباتي إذن صورة من الخطابات التي وصلتها. صحيح أن الخطابات أرسلت لي عن طريق البريد ولكنها تحمل عطراً غريباً يوحي بالشرق. ما معنى كل هذا؟

هززت رأسي قائلاً: هذا ما يجب أن نتوصل إليه. هل أحضرت الخطابات معك؟ ربما استطعنا أن نهتدي إلى شيء من أختام على المظاريف.

– لسوء الحظ مزقت المظاريف، فلا شك أنك تدرك أنني اعتبرت الموضوع مجرد مداعبة. أيمكن أن تكون هناك عصابة صينية تسعى في الواقع إلى استعادة الماستين؟ يبدو هذا أمراً بعيد الاحتمال.

استعرضنا الحقائق المرة بعد المرة دون أن نتمكن من التوصل إلى معرفة السر، ونهضت الليدي ياردلي وهي تقول: أعتقد أنه لا حاجة لانتظار المسيو بوارو، تستطيع أن تخبره بالقصة وشكراً لك يا سيد...

وترددت الليدي برهة وهي تمد يدها لي فقلت: الكابتن هيستنغز.

– آه، بالطبع، كم أنا غبية! أنت صديق لآل كافنديش، أليس كذلك؟ لقد كانت ماري كافنديش هي التي أرسلتني إلى المسيو بوارو.

* * *

عندما عاد صديقي من الخارج وجدت متعة في أن أروي له تفاصيل ما حدث في غيابه. ووجه إليّ بوارو العديد من الأسئلة ليحصل على مزيد من التفاصيل، واحتد عليّ أكثر من مرة مما أوحى إليّ أنه كان شديد الاستياء لعدم حضوره لقاء الليدي ياردلي. وكان بوارو قد تعود على أن يهوّن من قدرتي، ومن ثم فقد داخله شعور بالغيرة لأن تصرفي كان سليماً وغير قابل للنقد، وأحسست بالزهو وحاولت أن

أكبت هذه المشاعر حتى لا أثير أعصابه، وفي النهاية قال بوارو: حسناً، إن العقدة تتضخم. أرجوك أن تناولني ذلك المجلد الضخم الموضوع على الرف العلوي.

استغرق بوارو في تقليب صفحات المجلد حتى عثر على بغيته وقال: هذا هو ما نبحث عنه: ياردلي، اللورد العاشر. اشترك في حرب جنوب أفريقيا. كلا، كلا، لا أهمية لذلك. تزوج في مارس ١٩٠٧ من الليدي مود ستوبرتون الابنة الرابعة للبارون كوتريل الثالث. النوادي... مقار الإقامة... آه، هذه هي المعلومات المطلوبة وإن كانت لا تقدم الشيء الكثير، ولكننا سوف نذهب في الغد للالتقاء باللورد.

وقلت بدهشة: ماذا تقول؟

- نعم، لقد أرسلت له برقية.

- ظننت أنك نفضت يديك من هذه القضية؟

- إنني لا أعمل لحساب السيدة مارفيل طالما أنها رفضت الاستماع لنصيحتي، إن ما أفعله الآن هو إرضاء لرغبتي الشخصية، إرضاء لرغبتي الشخصية. إرضاء لهيركيول بوارو!

- ولمجرد إرضاء نزوتك ترسل بكل هدوء برقية للورد ياردلي؟ لا أظن أنه سوف يقابل ذلك بالارتياح.

- على العكس، فلو أنني استطعت أن أحافظ على ماسة أسرته فلا بد أن يكون شاكراً لي هذا الصنيع.

وسألته بلهفة: إذن فأنت تعتقد أن هناك فرصة حقيقية لسرقة الماسة؟

أجاب بوارو بمنتهى الهدوء: هذا أمر شبه مؤكد، كل الأدلة تشير إلى ذلك.

ومنعني بوارو بإشارة من يده حتى لا أسترسل في توجيه المزيد من الأسئلة ثم قال: والآن أرجوك، دعنا من بلبلة الأفكار ولنرَ أين وضعت المجلد. ألا ترى أنني أرتب كتبي في المكتبة بحسب أحجامها، وقد أخطأت في إعادة المجلد إلى غير موضعه. النظام والأسلوب يا هيستنغز، ولقد نصحتك أكثر من مرة...

قلت: نعم. ثم أعدت المجلد إلى مكانه الصحيح.

* * *

اتضح لي أن اللورد ياردلي شخصية مرحة. كان عالي الصوت رياضياً أحمر الوجه جذاب الشخصية، وقال ببشاشة: هذه مهمة غير عادية يا مسيو بوارو ولا يتبين فيها الرأس من القدمين، ويبدو أن زوجتي قد تلقت عدداً من الخطابات الغريبة، وهو نفس الشيء الذي حدث للسيدة مارفيل، فما معنى كل هذا؟

ناوله بوارو نسخة من مجلة «همسات المجتمع» قائلا: أريد أن أسأل أولاً يا سيدي اللورد عما إذا كانت المعلومات الواردة في هذا المقال صحيحة؟

قرأ اللورد المقال على عجل واربدّ وجهه من الغضب ثم قال بحدة: مجرد هراء! لا توجد أي قصة تحوم حول الماسة. لقد جئت أصلاً من الهند ولا أعتقد أنني سمعت عن كل هذا الذي يقال عن الإله الصيني.

- ومع ذلك فإن الماسة معروفة باسم «نجمة الشرق».

سأل اللورد باستياء: ولنفترض أن الأمر كذلك؟

ابتسم بوارو ابتسامة فاترة ولم يجب بشيء على السؤال، ثم قال: كل ما أطلبه منك يا سيدي اللورد أن تترك المهمة بأسرها لي وأن تعمل بما أشير به دون أدنى تحفظ، في هذه الحالة ربما أمكن تجنب الكارثة.

- إذن فأنت تتوقع حدوث شيء بالفعل؟

- هل تفعل ما أنصح به؟

توقف اللورد عن الاسترسال في الحديث، وتابع بوارو حديثه قائلاً: حسناً، اسمح لي إذن أن أوجه لك بعض الأسئلة. تلك الصفقة بشأن ياردلي تشيس، هل تمّ الاتفاق على تفاصيلها بينك وبين السيد رولف؟

- أوه، هل حدثك بشأن تلك الصفقة؟ كلا، لم يتم الاتفاق نهائياً.

وتردد اللورد برهة ثم أردف يقول: ربما استطعنا أن نصل إلى اتفاق. لقد ارتكبت بضع حماقات في الآونة الأخيرة

ووقعت في الدين يا مسيو بوارو، ولكنني آمل أن أرتب الأمور لأستعيد توازني. إنني مولع بأطفالي وأود أن أعيش آمناً في ضيعتي، وقد عرض عليّ جريجوري رولف عرضاً ضخماً يتيح لي أن أقف على قدمي مرة أخرى. ربما لم أكن أميل إلى إبرام الصفقة فأنا أكره أن يمتلئ المكان بالمصورين والممثلين، ولكنني -مع هذا- مضطر إلى قبول العرض ما لم...

توقف اللورد عن الحديث فجأة، وقال بوارو بخبث: إذن فلديك مخرج آخر لإنقاذ الموقف؟ هل تسمح لي بأن أخمّن؟ يتمثل الحل الآخر في بيع «نجمة الشرق»؟

فأومأ اللورد ياردلي برأسه بالإيجاب وهو يقول: هذا صحيح. لقد ظلت الماسة في حوزة الأسرة لبضعة أجيال، ولكن الصعوبة تتمثل في عدم وجود المشتري لمثل هذه الماسة الثمينة. وقد كلفت بيوت الماس المتخصصة: هوفبرج وهاتون جاردن بالبحث عن المشتري المناسب، وإذا لم يتم ذلك بسرعة ساء موقفي تماماً.

- سؤال أخير إذا سمحت. أي الفكرتين تحبذ الليدي ياردلي؟

- أوه، إنها تعارض فكرة بيع الماسة بشدة. أنت تعرف مشاعر النساء، ومن ثم فهي تميل إلى إبرام صفقة الفيلم.

قال بوارو بهدوء: إنني مقدر موقفها.

وسكت بوارو برهة ثم وقف فجأة قائلاً: هل ستعود إلى

ياردلي تشيس على الفور؟ حسناً، لا تقل شيئاً لأي إنسان. وبعد إذنك لك أن تتوقع حضورنا هذا المساء حيث نصل بعد الخامسة بقليل.

- حسن جداً، ولكنني لا أرى...

فقاطعه بوارو قائلاً: لا تقلق يا سيدي اللورد. ألا تريد مني أن أساعدك في المحافظة على الماسة؟

- نعم، ولكن...

- إذن افعل ما أقوله.

وغادر اللورد الحجرة وعلى وجهه علامات القلق.

* * *

كان وصولنا إلى ياردلي تشيس في الخامسة والنصف، وقادنا الخادم إلى القاعة القديمة حيث كانت النار مشتعلة في المدفأة. وشاهدنا الليدي ياردلي مع طفليها، وكان من الواضح أن الأم شديدة التعلق بأطفالها، وكان اللورد ياردلي يقف بالقرب منها ناظراً إلى طفليه بابتسامة حانية. وأعلن الخادم وصولنا قائلاً: المسيو بوارو والكابتن هيستنغز.

نظرت الليدي ياردلي إلينا بفزع، وبدا التردد على اللورد الذي نظر إلى بوارو وكأنه ينتظر منه تعليمات. وكان المخبر الصغير الحجم نداً للموقف حيث قال: معذرة، إنني أحقق في ذلك الموضوع الخاص بالسيدة مارفيل، وهي

قادمة لزيارتكم يوم الجمعة المقبل، أليس كذلك؟ إنني أقوم أولاً بجولة صغيرة لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام، كما أنني أرغب في سؤال الليدي ياردلي عما إذا كانت تذكر أي شيء عن خاتم البريد على مظاريف الخطابات التي تلقتها.

هزت الليدي ياردلي رأسها علامة للنفي قائلة: للأسف لا أتذكر، وربما كان ذلك غباء مني، ولكنني لم آخذ الأمر على محمل الجد.

وسأل اللورد ياردلي: هل ستقضيان الليلة هنا؟

فأجاب بوارو: لقد تركنا الحقائب في الفندق حتى لا نزعجك يا سيدي اللورد.

- لا، لا. سوف نبعث إلى الفندق من يأتي بالحقائب.

لم يتردد بوارو في الجلوس بجوار الليدي ياردلي وشرع يداعب الأطفال، وسرعان ما اكتسب صداقتهم وجرني معه في اللعبة. ثم قال لربة البيت: أنت أم ممتازة يا سيدتي.

ثم طلبت الليدي ياردلي من وصيفتها أن تصحب الأطفال إلى حجرتهم وأخذت تسوي خصلات شعرها النافرة وهي تقول: أنا أحب أطفالي كثيراً.

فقال بوارو وهو ينحني لها انحناءة بسيطة: وهم كذلك يبادلونك نفس المشاعر، والحق معهم.

بعد لحظات دخل الخادم يحمل برقية سلمها للورد

ياردلي، وعندما فرغ من تلاوتها كان يبدو عليه الانفعال بوضوح، ثم سلم البرقية لزوجته ونظر إلى بوارو قائلاً: لحظة واحدة يا مسيو بوارو، فأظن أنه يجب عليك أن تقف على حقيقة الأمر. لقد جاءت هذه البرقية من مؤسسة هوفبرج ليخطرني بالعثور على راغب في شراء الماسة، وهو أميركي سوف يبحر إلى الولايات المتحدة غداً، وسوف يرسلون واحداً من رجالهم الليلة ليعاين الماسة. يا إلهي، لو أن هذا الأمر تم...

خانته الكلمات فلم يستطع إكمال جملته، فقالت الليدي: أرجو ألا تبيعها يا جورج، لقد ظلت في حوزة الأسرة منذ زمن بعيد.

وسكتت الليدي برهة، ثم استأذنت لتغيير ثيابها استعداداً للعشاء وقالت لبوارو: أعتقد أن من الأفضل أن أستعرض مجوهراتي. لقد وعدني جورج بأن يعيد ترتيب الأحجار الكريمة في العقد الماسي ولكنه لم يفِ بوعده.

غادرت الليدي ياردلي الحجرة على الأثر، وبعد نصف ساعة كنا لا نزال في انتظارها للعشاء. وظهرت الليدي بالباب ترتدي ثوباً ناصع البياض وحول جيدها عقد تلمع ماساته في الضوء كجمرات من النار، وكانت الليدي تلمس بيدها العقد لمسة خفيفة وقالت بسعادة: انتظروا حتى أنير الأضواء لتمتعوا أعينكم بأروع عقد عرفته إنجلترا.

وبينما كانت الليدي ياردلي تمد يدها لتضغط الزر

حدث ما لم يتوقعه أحد. انطفأت الأنوار كلها فجأة وسمعنا صوت الباب يغلق بعنف وترامت إلينا من الخارج صرخة نسائية مدوية.

وصاح اللورد بانفعال: يا إلهي! هذا صوت مود، ما الذي حدث؟

اندفعنا دون تفكير نحو الباب ونحن نصطدم بعضنا ببعض في الظلام، ومضت بضع دقائق قبل أن نعثر على الليدي ياردلي ممددة على الأرض فاقدة الحراك وحول عنقها علامة قرمزية تخلفت عن اختطاف العقد بعنف. وبينما نحن نفكر فيما إذا كانت ميتة أم لا تزال على قيد الحياة فتحت الليدي ياردلي عينيها ببطء وهمست بصوت ضعيف: الرجل الصيني... الرجل الصيني بالباب الجانبي.

قفز اللورد ياردلي نحو الباب الجانبي وهو يزمجر وأنا أسير بجواره وقلبي يدق بعنف. الرجل الصيني مرة أخرى! كان الباب الجانبي المقصود يقع على بعد بضع خطوات من المكان الذي وقعت عنده المأساة، وعندما وصلنا إلى الباب أطلقت على الرغم مني صيحة دهشة، فقد كان العقد الماسي ملقى على الأرض على بعد عشرة أمتار. وكان من الواضح أنه قد سقط من اللص أثناء فراره، ولكنني أطلقت صيحة دهشة أخرى عندما اكتشفت أن مكان «نجمة الشرق» فيه خالٍ من الماسة الثمينة.

فقلت بضيق: هذا يفسر الأمر. هذا ليس لصاً عادياً لأن الماسة كانت كل ما يبتغيه.

- ولكن كيف تمكن اللص من الدخول؟

- من خلال الباب.

- ولكن الباب مغلق بصفة دائمة.

هززت رأسي نفياً وأنا أقول: ولكنه ليس مغلقاً الآن.

ودفعت الباب بيدي أثناء الكلام فانفتح، وحدث في نفس اللحظة أن سقطت قطعة صغيرة من قماش حريري مطرز على الأرض كانت معلقة بحافة الباب، وكان من الواضح أنها انتزعت من ثوب الرجل الصيني أثناء فراره. فقلت أفسر الأمر: لقد اشتبك ثوبه بالباب خلال مسارعته بالهرب، فلنسرع وراءه لأنه لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيراً عن المكان.

وبحثنا عن الجاني دون جدوى، فقد ساعده الظلام على التسلل من المكان. وأرسل اللورد أحد رجاله لإخطار الشرطة بينما قام بوارو بالإسعافات الضرورية إلى الليدي ياردلي، وكان بارعاً براعة السيدات في مثل هذه المهام، وأفاقت الليدي ياردلي لتروي القصة فقالت: لقد كنت على وشك أن أضيء النور الكبير في القاعة عندما هاجمني شخص من الخلف وانتزع العقد من عنقي بعنف طرحني على الأرض، بينما سارع بالفرار من الباب الجانبي، وشاهدت الزي الذي يرتديه من الخلف وتأكد لي أنه رجل صيني.

توقفت الليدي ياردلي عن الحديث عندما دخل الخادم ليقول موجهاً الحديث للّورد: لقد وصل مندوب من مؤسسة

هوفبرج يا سيدي اللورد، وهو يقول إنك تتوقع مجيئه.

قال اللورد: يا رب السماوات! أعتقد أنه يجب عليّ أن أقابله. لن أستقبله هنا يا مولنجز، سوف أستقبله في المكتبة.

فانتحيت ببوارو جانباً وقلت له في همس: ألا ترى يا صديقي العزيز أنه من الأفضل لنا أن نعود إلى لندن؟

- هل تعتقد ذلك يا هيستنغز؟ لماذا؟

فقلت وأنا أسعل: حسناً. لم تجر الأمور وفق ما نشتهي، أليس كذلك؟ أعني... لقد طلبت من اللورد أن يكون تحت تصرفك حتى لا يحدث مكروه، ثم حدث أن اختفت الماسة تحت سمعك وبصرك.

فقال بوارو في أسى واضح: هذا صحيح، لم يكن هذا واحداً من انتصاراتي الضخمة.

فابتسمت للطريقة التي يصور بها بوارو الموقف ومضيت في خطتي للتشفي منه فقلت: هكذا (والتمس لي العذر إذا خانني التعبير) تكون قد قلبت الأمور رأساً على عقب، وقد يكون من الأكرم لنا أن ننسحب من المكان على الفور.

- وماذا بشأن العشاء الفاخر الذي أعده لنا اللورد ياردلي؟

فقلت بنفاد صبر: أوه، أي عشاء؟

- يا إلهي! هل تريد أن تتصرف في هذه البلاد بعقلية المحقق الذي لا يكترث بقواعد اللياقة؟

فقلت بنفس اللهجة: ربما كان هنالك سبب آخر يدعونا إلى العود إلى لندن بأسرع ما يمكن.

- وما هو ذاك السبب يا صديقي؟

- الماسة الأخرى لدى السيدة مارفيل.

- حسناً، ماذا بشأنها؟

ولاحظت عدم اكتراثه فقلت في شيء من الحدة: ألا تدلك أبعاد الموقف؟ إذا كان اللصوص قد استولوا على إحدى الماستين فلا بد أن يسعوا إلى الأخرى.

تراجع بوارو خطوة إلى الخلف وهو ينظر إليّ بإعجاب وقال: حقاً؟ إن عقلك يعمل بطريقة رائعة يا صديقي! تصور أن ذلك لم يخطر ببالي قط. ولكن لا يزال لدينا متسع من الوقت، لن يكتمل القمر قبل يوم الجمعة.

هززت رأسي بعصبية وأنا أفكر في نظرية اكتمال القمر لعدم اقتناعي بها، واستطعت في النهاية أن أقنع بوارو بوجهة نظري، وغادرنا المكان بعد أن تركنا كلمة اعتذار رقيقة للورد ياردلي.

كانت فكرتي أن نتوجه رأساً إلى فندق ماجنيفسنت وأن ننبه السيدة مارفيل لما حدث، ولكن بوارو عارض الفكرة وأصر على أن ننتظر إلى الصباح. لكنني رأيته في الصباح على نفس الدرجة من عدم الاكتراث، وأوحى إليّ ذلك أن الخطأ الذي ارتكبه قد دفعه إلى ترك القضية برمتها. ورداً

على استفساراتي كان رأيه منطقياً ومقنعاً، فلم نكن في حاجة إلى الالتقاء بالممثلة وقد نشرت صحف الصباح قصة اختفاء «نجمة الشرق».

أثبتت الأحداث أن شكوكي كانت في موضعها، فقد رن جرس الهاتف في حوالي الساعة الثانية وأجاب بوارو على المتحدث بقوله: حسناً، سوف آتي حالاً.

ونظر إليّ بوارو في خجل وهو يقول: ما رأيك يا صديقي العزيز؟ ماسة مارفيل قد تعرضت للسرقة أيضاً!

وصحت وأنا أقفز من مكاني: ماذا تقول؟ وما رأيك الآن في نظرية اكتمال القمر؟

فنكس بوارو رأسه ولم يجب، وتابعت حديثي قائلاً: ومتى حدثت السرقة؟

- هذا الصباح على ما فهمت.

هززت رأسي معبّراً عن الأسى ثم قلت له: لو أنك استمعت إليّ! ها أنت ترى أنني كنت محقاً.

وقال بوارو بحذر: هكذا يبدو الأمر يا صديقي... المظاهر خداعة كما يقولون.

استأجرنا إحدى سيارات الأجرة وتوجهنا إلى الفندق الذي تنزل فيه السيدة مارفيل، وقلت أثناء الرحلة: كانت فكرة اكتمال القمر خطة ذكية حتى نركز على يوم الجمعة، من المؤسف أنك لم تتنبه إلى ذلك.

وقال بوارو ببساطة: للأسف! لا يستطيع الإنسان أن يفكر في كل شيء.

فقلت له برقة لأواسيه: لا تبتئس، أتمنى لك حظاً أوفر في المرة القادمة.

استقبلنا مدير الفندق في مكتبه، وكان معه جريجوري رولف واثنان من رجال اسكتلنديارد، وكان يجلس في مواجهتهم كاتب الفندق. وهز لنا رولف رأسه محيياً ثم قال: لقد وصلنا إلى قمة المأساة، ولكن ما حدث غريب حقاً. لا أستطيع أن أتخيل كيف استطاع اللص أن يتحكم في أعصابه بتلك الدرجة من البرود.

وكانت بضع دقائق كافية لكل نقف على حقيقة ما حدث. لقد غادر السيد رولف الفندق في الساعة الحادية عشرة والربع، وفي الحادية عشرة والنصف وصل إلى الفندق رجل شديد الشبه برولف وطلب من الكاتب صندوق المجوهرات ووقّع على إيصال الاستلام الذي سلمه له الكاتب قائلاً إن التوقيع مختلف بعض الشيء عن توقيعاته بسبب إصابة يده أثناء نزوله من سيارة الأجرة، ولكن الكاتب ابتسم قائلاً إنه لا يوجد فارق ملموس، ورد عليه الرجل ضاحكاً بقوله: حسناً، لا تنظر إليّ هذه المرة على الأقل كواحد من المحتالين، فقد تلقيت بعض خطابات التهديد من رجل صيني، وأسوأ ما في الأمر أنني أشبه الصينيين بالفعل... إنه أمر يتعلق بشكل عينيّ.

وقال الكاتب الذي كان يروي لنا القصة: ونظرت إلى وجهه فأدركت على الفور المعنى الذي يقصده، فقد كانت العينان مسحوبتين من الجانبين مثل رجال الشرق، ولم أفطن إلى ذلك من قبل.

وصاح رولف وهو يقترب بوجهه من الكاتب: وهل تلاحظ ذلك الآن؟

حملق الكاتب في وجهه برهة ثم قال: كلا يا سيدي، إنني لا أجد ذلك الشبه الآن.

وعلل رجل اسكتلنديارد على ذلك بقوله: منتهى الجرأة! فقد تخيل أن العينين يمكن أن تكونا وسيلة للتعرف عليه فأبدى تلك الملاحظة ليبدد أي شك يمكن أن يخطر على البال. لا بد أنه كان يراقبك ورآك تغادر الفندق وتتسلل إليه بمجرد ابتعادك.

وسألت: وماذا بشأن صندوق المجوهرات؟

- عثرنا عليه في ردهة الفندق، وكانت المجوهرات كلها موجودة عدا «نجمة الغرب».

حدق كل منا في الآخر، فقد كانت المسألة كلها غامضة تماماً وتبدو أقرب إلى الخيال، وهب بوارو واقفاً ثم قال متعذراً: لم أستطع أن أقدم كثيراً من العون. هل تسمح لي بمقابلة السيدة مارفيل؟

- أخشى أن تكون الصدمة قد أثرت عليها.

- في هذه الحالة أرجو أن تسمح لي ببضع كلمات على انفراد يا سيد رولف.

- بالتأكيد.

وعاد بوارو بعد نحو خمس دقائق وقال بمرح: والآن إلى مكتب البريد يا صديقي لأرسل برقية.

- لمن البرقية؟

- للّورد ياردلي. تعال معي يا صديقي، أنا أعرف مشاعرك إزاء هذا الموقف التعس. لم أستطع أن أفعل شيئاً، ولو أنك تعهدت بهذه المسألة فربما حالفك الحظ الذي خانني هذه المرة. إنني أعترف بخطئي ولننسى الموضوع الآن ولنفكر في الغداء.

كانت الساعة الرابعة عندما ذهبنا إلى مكتب بوارو، وكان اللورد ياردلي جالساً في انتظارنا وقد بدا عليه الضيق فقال بمرارة: جئت بمجرد أن تلقيت برقيتك، ولقد توجهت إلى مؤسسة هوفبرج حيث علمت أنهم لم يرسلوا واحداً من رجالهم بالأمس، كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن البرقية. هل تعتقد...

رفع بوارو يده قائلاً: أقدم لك اعتذاري، أنا الذي أرسلت لك البرقية واستأجرت الرجل.

قال اللورد بدهشة: أنت؟ لماذا؟

- كانت فكرتي أن أدفع الأمور إلى الحركة.

- تدفعها إلى الحركة؟ يا إلهي!

- قال بوارو وعلى وجهه أمارات السعادة: وقد نجحت خطتي تماماً يا سيدي اللورد، ولذا فيسعدني أن أقدم لك هذه الهدية.

فتح بوارو قبضة يده لتبدو فيها ماسة متلألئة، وصاح اللورد ياردلي بانفعال: نجمة الشرق! ولكنني لا أفهم.

أجابه بوارو باسماً: كلا، لا أهمية لذلك. صدقني، كان ينبغي للماسة أن تسرق، ولقد وعدتك بالمحافظة عليها، وقد بررت بوعدي. وأرجوك أن تسمح لي بالاحتفاظ بالسر وأن تبلغ الليدي ياردلي أطيب تمنياتي وسعادتي الغامرة إذ تمكنت من إعادة الماسة إليها. طاب يومك يا سيدي اللورد.

شيع المخبر الصغير الحجم ضيفه إلى الباب باسماً ثم عاد وهو يفرك يديه في سرور. وقلت له: بوارو، هل تراني فقدت صوابي؟

- كلا يا صديقي العزيز، ولكنك -كعادتك- في حالة ضباب ذهني!

- كيف استعدت الماسة؟

- من السيد رولف.

- رولف؟!

- نعم يا صديقي. لم تكن خطابات التحذير والرجل الصيني والمقال المنشور في مجلة «همسات المجتمع» سوى أساطير من نسج خيال الممثل العبقري! أما موضوع الماستين المتماثلتين فهي كذلك خرافة، فلم تكن هنالك سوى ماسة واحدة يا صديقي، وكانت في الأصل ضمن مقتنيات أسرة ياردلي، وظلت طوال السنوات الثلاث الأخيرة في حيازة السيد رولف. ولقد تمكن من سرقتها صباح اليوم ببضع لمسات من المكياج لعينيه! آه، يجب أن أشاهده في واحد من أفلامه لأنه فنان بحق.

- ولكن لماذا يسرق ماسته؟

- لأسباب عديدة، أولها أن الليدي ياردلي قد بدأت تشاكسه.

قلت بدهشة: الليدي ياردلي؟!

- لعلك تدرك أنها قد بقيت وحيدة في كاليفورنيا بينما كان زوجها يستمتع بحياته في مكان آخر. وكان السيد رولف وسيماً، ولكنه في أعماقه رجل عملي، فعندما أقام علاقة حب بالليدي ياردلي استطاع أن يحتفظ ببضعة خطابات (كانت قد أرسلتها له) ليهددها بها. لقد ضيقت الخناق على الليدي ياردلي في الليلة الماضية فاعترفت لي بالحقيقة، ولكنها أقسمت لي أنها لم تخن زوجها، وإن كانت عرضت نفسها لاستغلال رولف، وخوفاً من الطلاق والحرمان من أطفالها استجابت لرغباته. ولما كانت لا تمتلك مالاً فقد

سلمت لرولف الماسة التي أعطاها بدلاً منها ماسة مزيفة. وقد لفت نظري ظهور «نجمة الغرب» المزعومة، وسار كل شيء على ما يرام. وأراد اللورد ياردلي أن يسوي ديونه، وخشيت الليدي ياردلي أن يؤدي عرض الماسة للبيع إلى اكتشاف الحقيقة فكتبت لجريجوري رولف الذي كان قد وصل لتوه إلى إنجلترا. ووعدها رولف بتسوية الموقف، وأعد العدة لسرقة مزدوجة، وبهذه الطريقة ضمن تهدئة الليدي التي كان يمكن أن تعترف لزوجها بكل شيء، وهذا يتعارض مع مصلحة الرجل الذي يهددها فضلاً عن أن السرقة تتيح له أن يحصل على خمسين ألف جنيه من قيمة التأمين على الماسة الثمينة، بالإضافة إلى أنه سوف يحتفظ بالماسة نفسها في النهاية!

وعندما وصلت الأمور إلى هذا الحد بدأت أتدخل. أعلنت عن وصول خبير في الماس، وكما توقعت فقد دبرت الليدي ياردلي على الفور فكرة السطو على الماسة، وقد نفذت فكرتها بإحكام! ولكن بوارو لا يرى سوى الحقائق. ماذا حدث في الواقع؟ تمد الليدي يدها لتطفئ النور وتغلق الباب وتلقي العقد في الممر ثم تطلق صرخة مدوية، وكانت قبل ذلك قد نزعت الماسة المزيفة من مكانها في العقد.

واعترضت على ذلك قائلاً: ولكننا شاهدنا العقد ملتفاً حول عنقها.

- أستميحك العذر يا صديقي. لقد كانت راحة يدها تغطي مكان الماسة المنزوعة من العقد، أما قطعة الحرير

المنزوعة من ثوب الرجل الصيني (والتي وُضعت هناك سلفاً) فقد كانت لعبة طفل! وبالطبع رتب رولف الأمور بمجرد أن سمع عن سرقة الماسة وقدم ملهاته الصغيرة، ولقد أدى دوره بإتقان.

وسألته بفضول: ماذا قلت له لتسترد الماسة؟

– قلت له إن الليدي ياردلي قد اعترفت لزوجها بكل شيء وإن الزوج قد عهد إليّ باستعادة الماسة، وإذا لم تسلم لي في الحال فعليّ أن أبدأ في اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة، فضلاً عن أنني رويت له بضعة أكاذيب أخرى صغيرة خطرت على بالي في التو واللحظة. وهكذا أصبح رولف مثل قطعة من العجين بين أصابعي!

أمعنت النظر في الموقف ثم قلت لبوارو: يبدو أنك بهذا قد تجنيت على ماري مارفيل، فقد فقدت ماستها دون خطأ من جانبها.

فأجاب بوارو بحدة: لا، لقد حصلت على دعاية ضخمة، وهذا كل ما يعني ممثلة سينمائية. أما السيدة الأخرى فموقفها مختلف تماماً. إنها أم وسيدة طيبة.

قلت رغم عدم اقتناعي بوجهة نظر بوارو: نعم، أعتقد أن رولف هو الذي أرسل لها الخطابات.

قال بوارو بسرعة: كلا، أبداً، إنها لم تتسلم أية خطابات. لقد جاءت إليّ بناء على نصيحة من ماري كافنديش

لكي أساعدها على الخروج من مأزقها. ولما علمت منك أن ماري مارفيل (التي تعرف أنها عدوتها) قد جاءت أيضاً لزيارتي عدلت عن فكرتها وتذرعت بالعبارات والتفاصيل التي ذكرتها أنت لها. وقد استطعتُ بتوجيه بعض الأسئلة أن أعرف أنك أنت الذي أخبرتها بقصة الخطابات، ولم تكن هي التي أخبرتك بها. إنها انتهزت الفرصة التي هيأتها أنت لها وتعلقت بطوق النجاة الذي ألقيتَ به إليها.

فقلت مدافعاً عن نفسي: أنا لا أصدق ذلك.

- نعم، نعم يا صديقي العزيز. من المؤسف حقاً أنك لا تدرس علم النفس. ألم تخبرك أنها مزقت الخطابات؟ هذا ما لا يمكن أن يحدث قط، لأن المرأة لا تتخلص من أي خطاب حتى ولو كانت الحكمة تقضي بذلك!

قلت وقد تصاعد غضبي: حسناً جداً، ولكنك جعلت مني أضحوكة من البداية حتى النهاية! من السهل أن تفسر كل شيء بعد أن يقضى الأمر، ولكنك تجاوزت معي كل حد معقول.

قال بوارو باسماً: ولكنك كنت تستمتع بوقتك يا صديقي، ولم يطاوعني قلبي على أن أفسد عليك نظرياتك.

- لقد كنت قاسياً عليّ أكثر مما ينبغي هذه المرة.

- يا إلهي! ولكن لماذا تثير أعصابك هكذا دون مسوغ يا صديقي؟

- لقد طفح الكيل.

قلت ذلك وأنا أصفق الباب ورائي بعنف. لقد سخر بوارو مني طوال الوقت، وكان خليقاً بأن ألقنه درساً قاسياً، ولا بد من أن أدع فترة طويلة من الوقت تمر قبل أن أصفح عنه.

* * *

ذات النقاب الأسود

كانت تبدو على صديقي بوارو -منذ بعض الوقت- دلائل القلق والسأم، ولم تكن قد عرضت لنا في الفترة الأخيرة قضايا مثيرة من النوع الذي يتيح لصديقي القصير القامة فرصة لاستخدام مواهبه وقدراته العجيبة على الاستنتاج والاستدلال.

وفي صباح ذلك اليوم من شهر يوليو ألقى بوارو الصحيفة الصباحية جانباً بملل وقال: إن أشقياء إنجلترا يرهبونني يا هيستنغز، فحيثما يوجد القط لا تجسر الفئران الصغيرة على الاقتراب من الجبن.

فقلت ضاحكاً: أنا لا أعتقد أن الغالبية العظمى من أشقياء إنجلترا تعلم أن هناك شخصاً على قيد الحياة يدعى هيركيول بوارو.

فرمقني بنظرة عتاب. كان يتوهم أن الدنيا كلها تفكر في هيركيول بوارو وتتحدث عنه. صحيح أن اسمه أصبح معروفاً في لندن، ولكني لا أعتقد أن وجوده كان خليقاً بأن يوقع الرعب في قلوب المجرمين. وقلت له: ما قولك إذن في حادث سرقة المجوهرات الذي وقع في شارع بوند منذ بضعة أيام؟

فأجاب: الحق أنه حادث فريد، ولكنه ليس من النوع الذي يستهويني. إنه ينطوي على الجرأة ولكن ليس فيه فن، رجل يهوي بعصاه على الواجهة الزجاجية لحانوت أحد تجار المجوهرات فيحطمها ويختطف بعض المجوهرات الثمينة فيقبض عليه المارة فوراً. ويحضر رجال الشرطة ويجدون المجوهرات في جيبه فيقتادونه إلى مركز الشرطة، وهناك يكتشفون أن المجوهرات مزيفة. صحيح أن اللص سيحاكم ويسجن، ولكنه عندما يخرج من السجن سيجد في انتظاره ثروة ينفقها كيف يشاء. فكرة لا بأس بها، ولكني أستطيع أن أفعل خيراً من ذلك. إنني أشعر بالأسف أحياناً يا هيستنغز لأنني لا أعمل ضد القانون.

- هون عليك يا صديقي، أنت تعلم أنك فريد في تخصصك.

- ولكن أين هي القضايا أو الأحداث التي تدخل في تخصصي؟

فتناولت الصحيفة وألقيت على عناوين الأنباء نظرة سريعة وقلت: هو ذا مثلاً رجل إنجليزي مات بطريقة غامضة في هولندا.

- إنهم يقولون ذلك دائماً ثم يثبت أن الرجل أكل علبة سردين فاسدة وأن الوفاة كانت طبيعية تماماً.

كان بوارو يتكلم وهو يطل من النافذة، ولم يلبث أن قال: إنني أرى في الشارع أمامي ما يسمونه في القصص

«المرأة المقنَّعة». إنها تخفي وجهها تحت نقاب أسود سميك، وها هي تقترب من بابنا وتدق الجرس. لا بد أنها تريد أن تستشيرنا في أمر ما، ومن المحتمل جداً أن يكون أمراً مثيراً. عندما تكون المرأة في مقتبل العمر وجميلة كهذه المرأة فإنها لا تضع على وجهها نقاباً إلاّ لسبب خطير.

وبعد لحظات كنا نستقبل الزائرة. وكانت -كما قال بوارو- تضع على وجهها نقاباً كثيفاً يستحيل معه تبين قسمات وجهها، ولكنها عندما رفعت النقاب أدركت كم كان بوارو على صواب. كانت على جانب عظيم من الجمال، لها شعر ذهبي وعينان زرقاوان، وكانت ترتدي ثوباً تدل أناقته وبساطته ونوع نسيجه على أنها تنتمي إلى أرقى طبقة في المجتمع.

قالت بصوت موسيقي هادئ: مسيو بوارو، إنني في مأزق ولا أكاد أصدق أنك تستطيع مساعدتي، ولكن ما سمعته عنك قد حملني على الالتجاء إليك كآخر أمل لكي أرجوك أن تفعل المستحيل.

فقال بوارو: يسرني دائماً أن أفعل المستحيل. أرجوك أن تمضي في حديثك يا آنسة.

فبدا التردد على الزائرة الفاتنة، واستطرد بوارو قائلاً: إنما يجب أن تكوني صريحة وألا تتركيني في الظلام فيما يختص بأي جانب من جوانب المشكلة.

فقالت الفتاة فجأة: سأضع كل ثقتي فيك يا مسيو بوارو. هل سمعت عن الليدي ميلسنت كال فوجان؟

وأثار هذا الاسم اهتمامي، فقد قرأت ما نُشر منذ بضعة أيام عن خطوبة الليدي ميلسنت إلى دوق ساوثشاير، وكنت أعلم أن الليدي هي الابنة الخامسة لأحد النبلاء الإيرلنديين وأن الدوق من أغنى وأعرق الأسر الإنجليزية.

قالت الزائرة: أنا الليدي ميلسنت، ولعلك قد قرأت نبأ خطوبتي. كان يجب أن أكون أسعد فتاة في الوجود، ولكنني أجد نفسي في مأزق رهيب يا مسيو بوارو. هناك رجل مخيف يدعى لافنجتون، وهذا الرجل... يا إلهي! لست أعرف كيف أبدأ القصة. هناك رسالة كتبتها حين كنت في السادسة عشرة من عمري، وكان هو...

- رسالة كتبتها لهذا المدعو لافنجتون؟

- لا، لم تكن له، وإنما كانت لجندي شاب أحببته، ولكنه قتل في الحرب.

- آه، فهمت.

- كانت رسالة حمقاء أملاها الطيش، ولم يكن بيني وبين ذلك الشاب ما أخجل منه. ولكن بعض عبارات الرسالة يمكن تأويلها على غير معناها.

- وهل وقعت هذه الرسالة بين يدي السيد لافنجتون؟

- نعم، وهو يهددني بإرسالها إلى الدوق ما لم أدفع له مبلغاً ضخماً، مبلغاً يستحيل أن أحصل عليه.

فتمتمت قائلاً: يا له من وغد!

وقال بوارو: أليس الأفضل أن تعترفي لخطيبك بكل شيء؟

- إنني لا أجسر على ذلك يا مسيو بوارو، فالدوق شاب غيور سيء الظن، والاعتراف له بقصة الرسالة سيكون بمثابة فسخ للخطوبة.

- هذا أمر مؤسف له. وماذا تريدينني أن أفعل يا سيدتي الليدي؟

- لقد خطر لي أن أطلب إلى السيد لافنجتون أن يأتي لزيارتك باعتبارك وكيلاً عني في هذا الموضوع، فربما استطعت إقناعه بعدم المغالاة في مطالبه.

- وكم طلب؟

- طلب عشرين ألفاً من الجنيهات، وهو مطلب مستحيل لأنني لا أستطيع الحصول على ألف واحد!

- في استطاعتك اقتراض المبلغ اعتماداً على زواجك المنتظر، ولكن لا، إن الرضوخ للابتزاز يثير نفوري واشمئزازي. كوني مطمئنة يا سيدتي، إن عبقرية بوارو سوف تدحر أعداءك. ابعثي إليّ بهذا السيد لافنجتون. هل تعتقدين أنه سيُحضر الرسالة معه؟

- لا أظن، فهو شديد الحذر.

- هل أنت واثقة من أن الرسالة في حوزته؟

- لقد أطلعني عليها عندما ذهبت إليه في بيته.

- ذهبت إلى بيته؟ هذه رعونة شديدة يا سيدتي.

- أحقاً؟ لقد كنت في أشد حالات اليأس، وقد رجوت أن تزحزحه توسلاتي عن موقفه.

- إن أمثال لافنجتون في هذه الدنيا لا تزحزحهم التوسلات، ولا بد أن يكون ذهابك إلى بيته قد كشف له عن مدى اهتمامك بالرسالة. أين يقيم هذا الرجل؟

- في بونا فيستا بمنطقة ويمبلدون. وقد ذهبت إليه بعد هبوط الظلام وقلت له إنني سأبلغ الشرطة، فضحك ضحكة مقيتة وقال في سخرية: أرجوك أن تفعلي.

قال بوارو: نعم، ذلك ليس من اختصاص الشرطة.

- ومضى لافنجتون في حديثه قائلاً: "أنا واثق من أنك أعقل من أن تفعلي ذلك. انظري، ها هي رسالتك في هذا الصندوق الصغير". ووضع الرسالة أمامي، فحاولت أن أختطفها ولكنه كان أسرع مني، فتناول الرسالة وطواها وأعادها إلى الصندوق وقال: "أؤكد لك أنها ستكون بمأمن هنا، ثم إنني أخفي الصندوق نفسه في مكان لا يمكن أن تصل إليه يد". وعندما قال ذلك اتجه بصري إلى خزانة صغيرة في الجدار، ولكنه هزّ رأسه وضحك وقال: "إن لدي خزانة أفضل من هذه". وكان مقيتاً إلى أقصى حد.

صمتت الليدي الفاتنة قليلاً ثم قالت: هل تستطيع مساعدتي يا مسيو بوارو؟

- ثقي في «بابا» بوارو، فلا بد أن أجد وسيلة.

ورافق بوارو الزائرة إلى الباب الخارجي. ولما عاد قلت له: يخيل إليّ أن المسألة ليست من السهولة كما صورتها زائرتنا الفاتنة.

- الواقع أنني لم أهتدِ بعد إلى حل. إن السوط في يد لافنجتون ولا أعرف كيف سنتعامل معه.

* * *

زارنا لافنجتون بعد ظهر ذلك اليوم. وكانت الليدي ميلسنت على حق حين وصفته بأنه إنسان مقيت، فلقد أحسست برغبة شديدة في أن أركله بقدمي وأقذف به خارج البيت. كان وقحاً ومغروراً، وقد سخر من كل اقتراحات بوارو وحاول أن يؤكد لنا أنه سيد الموقف، وفي النهاية تناول قبعته وقال وهو يهم بالانصراف: يبدو أننا لم نتقدم كثيراً أيها السادة، ولكن نظراً لأن الليدي ميلسنت سيدة لطيفة فإنني على استعداد لقبول ثمانية عشر ألفاً من الجنيهات. إن لدي عملاً في باريس وسأسافر إليها اليوم وأعود يوم الثلاثاء، وإذا لم أتسلم المبلغ في مساء الثلاثاء فسأبعث بالرسالة إلى الدوق. لا تقل لي إن الليدي ميلسنت لا تستطيع إعداد المبلغ، إن لها أصدقاء ومعجبين لا حصر لهم، وامرأة فاتنة

مثلها لن تعجز عن الحصول على قرض إذا أبدت بعض التساهل.

فهممت بالانقضاض عليه، ولكنه كان قد استدار وهو يتحدث ونطق بعبارته الأخيرة وهو بباب الغرفة. وصمت بوارو فقلت وأنا أتميز غيظاً: لا بد من عمل شيء يا بوارو. إنك تواجه الموقف بخنوع واستسلام عجيبين.

- إن لك قلباً طيباً يا صديقي ولكن خلايا مخك في حالة يرثى لها. أنا لا أريد أن أبهر لافنجتون بقدراتي. وكلما ظنني خاملاً كان ذلك أفضل.

- لماذا؟

- من عجب أنني عبّرت عن رغبتي في العمل ضد القانون قبيل قدوم الليدي ميلسنت!

- هل تنوي السطو على بيت لافنجتون في غيابه؟

- إن عقلك يعمل بسرعة مذهلة في بعض الأحيان يا هيستنغز.

- هب أنه يحتفظ بالرسالة في جيبه؟

فهز بوارو رأسه وأجاب: لا أظن ذلك، والأرجح أن لديه في بيته مخبأ يعتقد أن أحداً لا يستطيع الاهتداء إليه.

- ومتى سنبدأ فعلتنا المنكرة؟

- غداً ليلاً، وسنتحرك من هنا في الساعة الحادية عشرة.

وفي الموعد المحدد كنت مستعداً وقد ارتديت ثوباً أسود وقبعة سوداء عريضة، فقال بوارو: لقد ارتديت الثوب الذي يناسب المهمة. هلم بنا.

- ألن نأخذ معنا بعض الأدوات اللازمة للعمل؟

- يا عزيزي هيستنغز، إن هيركيول بوارو لا يلجأ إلى الأساليب البدائية.

وكان الليل قد انتصف عندما وصلنا إلى ضاحية بونا فيستا. وكان الظلام يخيم على بيت لافنجتون، فقصد بوارو تواً إلى نافذة في الجانب الخلفي من البيت ودفعها في هدوء ففُتحت على الفور دون أية جلبة، وأدهشني ذلك فسألته في همس: كيف عرفت أن هذه النافذة ستفتح بسهولة؟

- لأنني أنا الذي رفعت مزلاجها صباح اليوم.

- ماذا؟!

- كانت المسألة في غاية البساطة. لقد حضرت صباح اليوم وقدمت بطاقة زائفة وبطاقة أخرى من بطاقات المفتش جاب، وقلت إنني جئت بتوصية من اسكتلنديارد لتركيب مزاليج للنوافذ لتحول دون دخول اللصوص. فرحبت بي مدبرة البيت وقالت إن اللصوص قد اقتحموا البيت مرتين في المدة الأخيرة. إذ يبدو أن الفكرة التي خطرت لنا قد خطرت كذلك لآخرين من زبائن لافنجتون، ولكن لم يُسرق من

البيت شيء ذو قيمة. وبعد أن فحصت جميع النوافذ وعبثت بمزلاج هذه النافذة حذرت الخدم من الاقتراب من النوافذ قبل ٢٤ ساعة لأنها جميعاً متصلة بالتيار الكهربائي.

- الحق أنك رجل عجيب يا بوارو.

- كانت المسألة غاية في البساطة كما قلت لك. والآن، هلم إلى العمل. إن الخدم ينامون في الطابق العلوي فلا خطر من أن نزعجهم أو يزعجونا.

- لا بد أن الخزانة موجودة داخل أحد الجدران.

- أية خزانة؟ إن لافنجتون رجل ذكي، وسوف ترى أنه قد ابتكر مخبأ أفضل من الخزانة. إن الخزانة هي أول شيء يبحث عنه الإنسان.

وبدأنا البحث بطريقة منظمة، وقضينا بضع ساعات في تفتيش المنزل دون جدوى. ورأيت سحب الغضب تتلبد في وجه بوارو وسمعته يتمتم: هل يمكن أن يهزم هيركيول بوارو؟ مستحيل. فلنفكر في هدوء ولنستخدم خلايانا الرمادية الصغيرة.

وتريث قليلاً ثم تألقت عيناه فجأة وهتف: كم كنت مغفلاً! هلم إلى المطبخ.

- المطبخ؟ ولكن ذلك مستحيل، ثم هناك الخدم.

- تماماً. ذلك ما يقوله ٩٩ في المئة من الناس، ولهذا

كان المطبخ هو المكان المثالي لإخفاء الأشياء التي يراد إخفاؤها.

وتبعته إلى المطبخ، ورأيته يفتش الخزائن والأواني ويضع رأسه في الفرن ويدس يديه في وعاء الفحم، فقلت له: لا يمكن أن يكون لافنجتون قد أخفى الرسالة في الفحم.

- لو عرفت كيف تستخدم عينيك لرأيت أنني لا أبحث في الفحم.

والواقع أنه كان يفحص كتلاً من الخشب مكومة خلف وعاء الفحم، ولم يلبث أن هتف: هل معك مطواة يا هيستنغز؟

فأعطيته المطواة فأغمد نصلها في إحدى الكتل الخشبية، فانشطرت الكتلة وظهر في وسطها تجويف. ومن هذا التجويف أخرج بوارو صندوقاً صغيراً فلم أتمالك من أن أهتف: أحسنت يا بوارو!

- مهلاً يا هيستنغز ولا ترفع صوتك، وهلم بنا ننصرف فقد بزغ الفجر.

ووضع الصندوق في جيبه، وغادرنا البيت من حيث دخلنا وسرنا مسرعين في الطريق إلى لندن. قلت: يا له من مخبأ عجيب! كان في استطاعة أي خادم أن يجعل من هذه الكتلة وقوداً للمدفأة.

- المدفأة في شهر يوليو يا هيستنغز؟ ثم إن هذه الكتلة

كانت تحت كومة كبيرة من الكتل. آه! ها هي سيارة أجرة.

* * *

نال مني التعب والانفعال فاستغرقت في نوم عميق، واستيقظت نحو الظهر لأجد بوارو جالساً في قاعة الاستقبال يقرأ الرسالة التي وجدها في الصندوق الصغير. وما أن رآني حتى ابتسم وقال وهو يلوح بالرسالة: لقد كانت الليدي ميلسنت على حق، فإن من المستحيل أن يغفر لها الدوق أنها كتبت هذه الرسالة التي تتضمن من عبارات الحب والوجد ما لم أقرأ له مثيلاً.

قلت: ما كان ينبغي لك أن تقرأ هذه الرسالة الخاصة يا بوارو.

فأجاب بشيء من الجفاء: إن بوارو يعرف ما ينبغي عليه أن يفعله.

- كذلك لم يكن ينبغي أن تستخدم بطاقة المفتش جاب، فذلك يخالف أصول اللعبة.

- أنا لم أكن ألعب يا هيستنغز، وإنما كنت أقوم بتحقيق قضية. آه! هأنذا أسمع وقع أقدام على الدرج. لا بد أنها الليدي ميلسنت.

ودخلت عميلتنا الجميلة وعلى وجهها مسحة من القلق تحولت إلى سرور وبهجة حالما وقع بصرها على الرسالة

والصندوق بين يدي بوارو، وقالت: أنت رجل عجيب يا مسيو بوارو. كيف فعلت ذلك؟

- بوسائل غير قانونية. ولكن لافنجتون لن يشكونا. هل هذه هي رسالتك؟

ألقت نظرة على الرسالة وقالت: نعم، كيف أشكرك يا مسيو بوارو؟ أنت رجل عجيب. عجيب، أين وجدتها.

فأخبرها فقالت: ما أبرعك!

ومدت يدها لتتناول الصندوق الصغير وقالت: سأحتفظ بهذا الصندوق أيضاً للذكرى.

- كنت أرجو يا سيدتي الليدي أن تسمحي لي بالاحتفاظ به، للذكرى أيضاً.

- سأرسل لك في يوم زفافي هدية للذكرى أفضل من هذه، وستجد أنني لا أنكر المعروف.

- إن تقديم خدمة لك هو شرف عظيم لي، وأهم عندي من أي مبلغ من المال تفكرين في إرساله إليّ. ولذلك أرجو السماح لي بالاحتفاظ بهذا الصندوق.

فقالت وهي تضحك: كلا يا مسيو بوارو، إنني أريده.

ومدت يدها إلى الصندوق، ولكن بوارو أطبق عليه بكلتا يديه وقال وفي صوته نبرة حادة: لا أظن ذلك.

- ماذا تعني؟

- على كل حال أرجو أن تسمحي لي -على الأقل- باستخراج محتوياته الأخرى. إن فراغ الصندوق مقسم إلى قسمين كما ترين، القسم العلوي وبه الرسالة، والقسم الآخر وهو القاع.

ودس يده في الصندوق ثم أخرجها وفتح قبضته، فإذا فيها أربع قطع ضخمة من الماس. قال: سيقول لنا المفتش جاب الآن أن هذه هي الماسات التي سرقت من حانوت المجوهرات بشارع بوند منذ بضعة أيام.

ولشد ما كانت دهشتي حين رأيت المفتش جاب يخرج من غرفة نوم بوارو. واستطرد بوارو في أدب موجهاً الحديث إلى الليدي ميلسنت: أعتقد أن المفتش جاب من أصدقائك القدامى.

فرمقته بنظرة تجمع بين الهلع والإعجاب والسخط وقالت: يا لك من شيطان!

فقال المفتش جاب يحدثها: لقد انتهت اللعبة يا عزيزتي جرترود. من كان يظن أننا سنتقابل بهذه السرعة؟ لقد قبضنا كذلك على شريكك الذي زار بوارو أمس منتحلاً اسم لافنجتون، أما لافنجتون الحقيقي (المعروف كذلك باسم كوركر وريد) فلا أعرف مَن مِن أفراد عصابتك قد أغمد خنجره في صدره منذ أيام أثناء وجوده في هولندا. لقد ظننت أن المجوهرات معه، أليس كذلك؟ ولكنها لم تكن معه. لقد

خدعكم جميعاً وأخفاها في بيته، فأرسلت اثنين من أعوانك لتفتيش البيت ولكنهما أخفقا، وحينئذٍ لجأت إلى صديقي بوارو الذي ساعده الحظ ووجدها.

قالت الليدي المزعومة: إنك تحب الكلام والثرثرة. سأمضي معك في هدوء، فهلم بنا. ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنني قد أجدت القيام بدور سيدة من أرقى الطبقات.

وألجمتني المفاجأة فلم أقوَ على الكلام. أما بوارو فإنه قال: نعم، لقد أجدت القيام بدورك ولكنك أخطأت في الحذاء. لقد دلتني ملاحظاتي على أن السيدة الإنجليزية الكريمة تهتم اهتماماً خاصاً بحذائها، فهي قد ترتدي ثوباً قديماً رثاً ولكنها تحرص على أن يكون حذاؤها من النوع الأنيق الثمين، وقد كان ثوبك أنيقاً غالي الثمن أما حذاؤك فكان من النوع الرخيص. ولا أنكر أن هناك بعض الشبه بينك وبين الليدي ميلسنت، وعلى كل حال فإنه لم يكن منتظراً أن أكون أنا أو صديقي الكابتن هيستنغز قد رأينا الليدي ميلسنت الحقيقية، خاصة وأنها لا تأتي إلى لندن إلاّ نادراً. لقد كانت هناك ثلاثة أشياء أثارت شكوكي، وهي على التوالي: النقاب الأسود، والحذاء، والقصة. ولا بد أن تكون قصة الرسالة المزعومة معروفة لدى أفراد العصابة جميعاً، أما موضوع كتلة الخشب فلم يكن يعرفه سوى لافنجتون.

وصمت بوارو قليلاً ثم التفت إليّ وقال: أرجو ألا تخدش شعوري مرة أخرى يا هيستنغز كما فعلت أمس حين قلت إن مجرمي إنجلترا لا يعرفونني. إنهم لا يعرفونني

فقط، ولكنهم كذلك يستخدمونني في المهام التي يفشلون في أدائها!

* * *

مأساة وثيقة التأمين

كنت قد استُدعيت في مهمة تستغرق بضعة أيام خارج المدينة، وعندما عدت وجدت بوارو يحزم حقيبة صغيرة للسفر، وقال: لقد عدتَ مبكراً. كنت أخشى ألا تعود في الوقت المناسب لتصاحبني.

- هل أنت مكلف بقضية جديدة؟

- نعم، ولكن أعترف لك أن هذه القضية ليست مشجعة، فقد كلفتني شركة اتحاد الشمال للتأمين بالتحقيق في موت من يُدعى السيد مالتر أفيرس الذي أمّن على حياته لدى الشركة قبل موته ببضعة أسابيع بمبلغ خمسين ألف جنيه.

وقلت باهتمام: ثم؟

- كان هناك في العقد -بالطبع- شرط بعدم صرف قيمة الوثيقة في حالة الانتحار، وقام طبيب شركة التأمين بالكشف على المؤمن، ورغم أنه كان في خريف العمر إلاّ أن صحته كانت على ما يرام. على أية حال، اكتُشفت جثة السيد مالتر أفيرس يوم الأربعاء الماضي (أول أمس) في حديقة منزله في أسكس بمقاطعة ماردسون، وجاء في تشخيص الموت أنه حدث نتيجة نزيف داخلي. وهذا في حد ذاته لا يستلفت

النظر، إلاّ أن الإشاعات تؤكد أن حالة السيد مالتر أفيرس المالية كانت سيئة للغاية في الفترة الأخيرة. كما أن شركة اتحاد الشمال للتأمين تؤكد بدورها أن الرجل كان على حافة الإفلاس، وأنه ترك زوجة حسناء في مقتبل العمر، وكان قد جمع قبل وفاته كل ما يمكن جمعه من مال ليدفع مقدم الوثيقة في مقابل التأمين لصالح زوجته بذلك المبلغ الضخم، وترجح الشركة أنه قد انتحر بعد ذلك. على أية حال فمثل هذه الأمور شائعة. وقد كلفني صديقي، ألفريد رايت المدير بشركة التأمين، أن أتولى التحقيق في وقائع هذه القضية. ولكنني لست متفائلاً كما أخبرته، فإذا كانت السكتة القلبية هي الملجأ الذي يلجأ إليه الطبيب الشرعي عندما يعجز عن تحديد أسباب الوفاة، فإن الوفاة بنزيف داخلي أمر قاطع لا يحتمل التأويل. ومع هذا فلا ضير من أن نقوم ببعض الاستفسارات. أمامك خمس دقائق لتعد حقيبتك يا هيستنغز، سوف نستقل سيارة الأجرة إلى شارع ليفربول.

بعد حوالي الساعة كنا نهبط من القطار في محطة ماردسون لي، وعرفنا أن مقاطعة ماردسون تقع على مسافة ميل من المحطة. وقرر بوارو أن نقطع المسافة سيراً على الأقدام، فقلت له: ما هي خطتنا؟

- سوف أقابل الطبيب أولاً، فقد تأكدت من أنه لا يوجد في ماردسون لي سوى طبيب واحد هو الدكتور رالف برنارد، وها نحن أمام باب داره.

وصلنا في الوقت المحدد لاستشارات الطبيب، وكانت

العيادة خالية من المرضى. وقدّم بوارو نفسه للدكتور برنارد، وهو رجل عجوز طويل مقوس الظهر قليلاً بشوش الوجه. وعندما عرف الطبيب طبيعة المهمة التي جاء بوارو من أجلها قال: أعتقد أنه طالما كان السيد مالتر أفيرس ثرياً فلا بد أن تكون قيمة التأمين مرتفعة؟

- هل تعتبره رجلاً غنياً يا دكتور؟

بدت الدهشة على وجه الطبيب وأجاب بقوله: ألم يكن كذلك؟ لقد كانت لديه سيارتان وضيعته في ماردسون كبيرة.

قال بوارو وهو يحملق في وجه الطبيب بإمعان: المعلومات التي لدي تفيد بأنه خسر مبالغ طائلة في الفترة الأخيرة.

هز الطبيب رأسه في أسى ثم قال: هكذا؟ من حسن حظ زوجته إذن أن يكون قد أمّن على حياته. إنها مخلوقة جميلة، ولكن الصدمة هدت قواها وأثّرت على أعصابها. المسكينة، لقد حاولت قدر استطاعتي أن أجنبها المزيد من الآلام ولكن وقع الصدمة ولا شك كان شديداً.

- هل كنت تعالج السيد مالتر أفيرس في الفترة الأخيرة؟

- لم أعالجه قط يا سيدي العزيز.

- ماذا تقول؟

- الذي أعرفه عن السيد أفيرس أنه عالِم ديني أو شيء من هذا القبيل.

- ولكنك فحصت الجثة؟

- بالتأكيد.

- وهل كان سبب الوفاة واضحاً؟

- تمام الوضوح، كانت على الشفتين بضع قطرات من الدم، ولكن الجانب الأكبر من النزيف كان داخلياً بلا شك.

- هل كان لا يزال راقداً في نفس المكان الذي سقط فيه ميتاً؟

- نعم، ولم يكن أحد قد مسّ الجثة. كان يرقد على حافة حوض للنباتات، وكان من الواضح أنه قد خرج لصيد الطيور، فقد كانت بجواره بندقية صيد صغيرة. ولا بد أن النزيف الداخلي حدث بصورة مفاجئة.

- ألم تفكر في أنه قد يكون أصيب بطلق ناري؟

- يا سيدي العزيز!

قال بوارو بتواضع: ألتمس منك المعذرة، ولكن لو لم تخنّي الذاكرة ففي جريمة قتل وقعت أخيراً اضطر الطبيب إلى تغيير قراره الذي كان يشير إلى أن الوفاة حدثت نتيجة هبوط في القلب، وذلك عندما أخطره الشرطي المحلي بوجود جرح في الرأس ناتج عن طلق ناري.

أجاب الطبيب بجفاء: لن تجد أي جروح في جسم السيد مالتر أفيرس نتيجة لإطلاق الرصاص. والآن أرجوكم يا سادة إذا لم تكن هناك...

وقف بوارو وهو يقول بأدب شديد: طاب صباحك يا سيدي، وشكراً جزيلاً لتكرمك بالإجابة على أسئلتنا. بهذه المناسبة، ألم ترَ أي مبرر لتشريح الجثة؟

قال الطبيب بعصبية: بكل تأكيد لا. كان سبب الوفاة واضحاً، وفي مهنتي تقضي التقاليد بأن نجنب أقارب الميت في هذه الحالة ما يمكن توفيره من الآلام.

أغلق الطبيب الباب وراءنا بعنف، وقال لي بوارو ونحن في الطريق إلى ضيعة ماردسون: ما رأيك يا هيستنغز في الدكتور برنارد؟

- يبدو أنه حمار كبير.

- تماماً، أحكامك على الأشخاص صائبة تماماً يا عزيزي.

حدقت في وجه بوارو برهة في قلق، ولكني لاحظت أنه جاد في حديثه، وقال بهدوء: يمكن أن يقال مثل هذا الكلام إذا لم تكن في القضية شابة حسناء!

نظرت إليه ببرود، وعند وصولنا إلى بيت المتوفى قابلتنا وصيفة في منتصف العمر، وسلمها بوارو بطاقته وخطاباً من شركة التأمين موجهاً للسيدة مالتر أفيرس، فقادتنا الوصيفة إلى حجرة صغيرة وانسحبت لتبلغ سيدتها. ثم فتح الباب

بعد عشر دقائق ودخلت الحجرة أرملة نحيلة ترتدي ثياب الحداد وقالت في تردد: مسيو بوارو؟

قفز بوارو من مقعده قائلاً: سيدتي، لا أدري كيف أعبر لك عن أسفي لإزعاجك بهذه الطريقة، ولكن ماذا كنت تفعلين لو أنك في مكاني؟ الأعمال لا تعرف الرحمة.

فأشارت إليه الأرملة بأن يتفضل بالجلوس، وكانت عيناها محمرتين من أثر البكاء، ولكن هذا الحزن الطارئ لم يطفئ جمالها الأخاذ. كانت في حوالي السابعة والعشرين وربما الثامنة والعشرين، رقيقة إلى أبعد الحدود، ذات عينين زرقاوين واسعتين وفم دقيق جميل، وقالت: أهو بشأن وثيقة تأمين زوجي؟ ولكن هل كان من الضروري أن يتم إزعاجي الآن بهذه السرعة؟

قال بوارو بأدب شديد: تذرعي بالشجاعة يا سيدتي. أنت تعلمين أن زوجك الراحل قد أمّن على حياته بمبلغ ضخم، وواجب شركة التأمين في مثل هذه الحالات أن تطمئن تمام الاطمئنان إلى بعض التفاصيل. وقد كلفتني الشركة بهذه المهمة، وثقي يا سيدتي أنني سوف أفعل كل ما أستطيع لأهون الأمر بالنسبة لك على الوجه الذي يرضيك. أرجوك أن تروي باختصار ما حدث يوم الأربعاء الماضي.

قالت السيدة مالتر أفيرس: كنت أغير ملابسي استعداداً لتناول الشاي عندما جاءت الخادمة تنبئني بأن أحد عمال الحديقة قد عثر على...

وخانها صوتها فلم تقوَ على الاسترسال في الحديث، وضغط بوارو على يدها بعطف قائلاً: لقد فهمت، كفى. هل شاهدت زوجك قبل ذلك في فترة ما بعد الظهيرة؟

- لم أره منذ ساعة الغداء، فقد توجهت إلى القرية لأشتري بعض طوابع البريد، وأعتقد أنه كان يتجول في الحديقة.

- يصطاد الطيور؟

- نعم. وهو يأخذ معه في العادة بندقيته الصغيرة، وقد سمعت على البعد طلقة أو طلقتين.

- أين هذه البندقية؟

- في الصالة على ما أعتقد.

صحبتنا الأرملة الشابة إلى الحجرة التي وضعت فيها البندقية وسلمتها لبوارو الذي فحصها بعناية وقال: أرى أنه قد أطلقت منها طلقتان. والآن يا سيدتي، إذا سمحت...

لم يكمل بوارو جملته وهمست الأرملة الحسناء، ولم أدر ما إذا كان الأفضل أن أتحدث معها أم ألتزم الصمت، وقلت لها كلمة أو كلمتين على سبيل المجاملة ردت عليها بشرود، وعاد بوارو بعد بضع دقائق ليقول للأرملة: أشكرك على كرمك يا سيدتي، ولا أظن أننا في حاجة إلى مضايقتك أكثر من ذلك. بهذه المناسبة: هل تعرفين شيئاً عن أحوال زوجك المالية؟

- هزّت الأرملة رأسها نفياً وهي تقول: لا أعرف أي شيء عن أحواله المالية، إنني شديدة الغباء في مثل هذه الموضوعات.

- ألا يوجد لديك تعليل إذن للسبب الذي دفعه للتأمين على حياته فجأة؟ فلم يسبق له أن فعل ذلك من قبل على ما أعتقد.

- حسناً، لقد تمّ زواجنا في الواقع منذ ما يزيد قليلاً على العام، أما بالنسبة للسبب في تأمينه على حياته فلأنه كان يعتقد أنه لن يعيش طويلاً. لقد كان واثقاً من أنه سيموت فجأة، وقد حدث أن أصيب بنزيف داخلي وكان يؤكد أن الإصابة التالية ستكون القاضية، وقد حاولت أن أبعد عنه تلك الأفكار القاتمة، ولكن يبدو أنه كان محقاً في مخاوفه.

انهمرت الدموع من عينيها وودعتنا. قال لي بوارو: حسناً، ليس أمامنا سوى العودة إلى لندن يا صديقي. يبدو أنه لم يعد ثمة ما يستوجب بقاءنا في هذا المكان، ومع هذا...

- ماذا كنت تريد أن تقول؟

- هناك تناقض خفيف، هذا كل ما في الأمر، ألم تفطن إلى ذلك؟ ومع ذلك فالحياة مليئة بالمتناقضات، والأمر الذي لا شك فيه أن الرجل لم يقضِ على حياته بنفسه، ولا يوجد سم يملأ الفم بالدم. ولكن مَن يكون هذا الرجل؟

كان رجل طويل القامة قادماً في اتجاهنا، وتجاوزَنا دون

أن يتبادل معنا كلمة أو إشارة. كان وجهه البرونزي يوحي بأنه عاش في المناطق الاستوائية، وسألنا البستاني عمن يكون الرجل فقال: لا أتذكر اسمه يا سيدي رغم أنني قد سمعت الاسم من قبل. لقد قضى ليلة هنا منذ أسبوع، وكان ذلك يوم الثلاثاء.

وصاح بوارو في وجهي: أسرع يا صديقي، فلنتبع الرجل.

أسرعنا خلف الرجل دون أن يفطن إلينا، وشاهدناه يتجه إلى شرفة جانبية في بيت المتوفى حيث كانت تقف الأرملة الحسناء، وبدا الارتباك عليها عند رؤيته وامتقع وجهها وقالت له: أنت؟! لقد ظننت أنك في البحر في الطريق إلى أفريقيا الشمالية.

أجابها الرجل الغريب قائلاً: لقد تلقيت بعض الأنباء من المحامي فدفعتني إلى إرجاء السفر. لقد مات عمي العجوز فجأة في اسكتلندا وعلمت أنه ترك لي بعض المال، ورأيت أنه من الأنسب أن ألغي السفر. ثم قرأت الأنباء الأليمة في الصحف وقدمت لأرى ما أستطيع أن أقدمه من عون، فسوف تحتاجين إلى شخص يقف بجانبك في مثل هذه الظروف.

تنبهت الأرملة والزائر الغريب لوجودنا في تلك اللحظة، وخطا بوارو إلى الأمام يعرب عن اعتذاره ويبرر عودته بأنه قد نسي عصاه في الصالة، وقامت الأرملة بواجب التعارف قائلة: المسيو بوارو... الكابتن بلاك.

استخلص بوارو من الحديث القصير الذي دار أن

الكابتن ينزل بحانة أنكور، ولم يتم العثور على العصا الضائعة بالطبع، وعاد بوارو يعتذر من جديد وهو ينسحب.

عدنا إلى القرية بخطى سريعة، ثم غير بوارو اتجاهه لنتجه إلى حانة أنكور قائلاً: سوف نبقى هنا حتى يعود الكابتن. ولعلك لاحظت أنني ذكرت أثناء الحديث أننا سوف نعود إلى لندن بأول قطار، ومن المحتمل أن تكون قد صدقت ذلك. ولكن لا. ولعلك لاحظت التغيير الذي طرأ على وجه الأرملة عندما وقع بصرها على الكابتن بلاك، من الواضح أنها فوجئت برؤيته، وهو يعتبر نفسه مقرباً للأرملة، وكان في بيت مالتر أفيرس ليلة الثلاثاء (اليوم السابق لوفاة السيد مالتر أفيرس)، ومن ثم فلا بد أن نبحث عن تحركات الكابتن يا هيستنغز.

رأينا الكابتن يعود إلى الحانة بعد حوالي نصف ساعة، واعترض بوارو طريقه ثم أقنعه بالحضور إلى الغرفة التي حجزناها وقال: كنت أحدث صديقي عن المهمة التي كانت السبب في مجيئنا. تستطيع أن تفهم -يا سيدي الكابتن- أنني مهتم بمعرفة الحالة العقلية للسيد مالتر أفيرس قبل وفاته مباشرة، وأنا لا أريد أن أزعج أرملته الشابة بأسئلة قد تثير شجونها، والمعروف أنك كنت هناك قبل الوفاة بقليل وتستطيع أن تقدم المعلومات المطلوبة.

قال الضابط الشاب: أؤكد لك أنني سوف أقدم لك كل ما أستطيع من العون، ولكن أخشى أن أخبرك أنني لم ألاحظ أي شيء غير عادي. ورغم أن السيد مالتر أفيرس كان

صديقاً قديماً لأسرتي إلاّ أنني لا أعرف عنه الكثير شخصياً.

- متى وصلت إلى هذا المكان؟

- بعد ظهر الثلاثاء، وعدت إلى القرية في الصباح المبكر ليوم الأربعاء حيث كان المفروض أن أبحر على ظهر الباخرة تيلبوري في نحو الثانية عشرة ظهراً، ولكن بعض الأنباء التي تلقيتها دفعتني إلى تغيير خططي، وهو ما سمعتني أشرحه للسيدة مالتر أفيرس.

- كنت عائداً إلى شرق أفريقيا على ما فهمت؟

- نعم، لقد كنت هنالك منذ قامت الحرب. إنها بلاد عظيمة.

- تماماً، هل أستطيع أن أعرف الحديث الذي دار بينكم على العشاء مساء الثلاثاء؟

- أوه، لا أدري. الحديث العادي حول شتى الموضوعات... سألني مالتر أفيرس عن أفراد الأسرة، ثم ناقشنا موضوع استعدادات ألمانيا للحرب، ثم سألتني السيدة مالتر أفيرس بعض الأسئلة عن شرق أفريقيا فرويت لهما -على ما أذكر- قصة أو قصتين.

- شكراً لك.

أخلد بوارو للصمت برهة ثم قال في دعة: أريد أن أقوم بتجربة بسيطة إذا لم يكن لديك مانع. لقد ذكرت لنا ما يعرفه

عقلك الواعي، والآن أريد أن أوجه بعض الأسئلة لعقلك اللاواعي.

قال بلاك باضطراب ظاهر: ماذا؟ تحليل نفسي؟

- أوه، كلا. سوف يجري الأمر على النحو التالي: أعطيك كلمة وترد عليها بأخرى، وهكذا، أي كلمة تخطر على بالك. هل نستطيع أن نبدأ؟

قال بلاك في تردد: لا مانع.

التفت إليّ بوارو قائلاً: دوّن الكلمات يا هيستنغز أرجوك.

أخرج بوارو من جيبه الساعة الميقاتية ووضعها على المنضدة أمامه ثم قال: فلنبدأ. نهار.

سادت فترة قصيرة من الصمت، ثم أجاب بلاك قائلاً: ليل.

وبينما كان بوارو يمضي في التجربة كانت إجابات بلاك تجيء بطريقة أسرع، قال بوارو: الاسم... المكان، برنارد... شو، الثلاثاء... العشاء، الرحلة... المركب، البلد... أوغندة، قصة... الأسود، بندقية الصيد... المزرعة، طلقة... الانتحار، الفيل... الناب، النقود... المحامي.

وفي النهاية قال بوارو: شكراً لك يا كابتن بلاك. أرجو أن تسمح لي ببضع دقائق أخرى بعد نحو نصف ساعة.

قال الضابط الشاب وهو ينظر إلى بوارو بدهشة: بكل تأكيد.

وعندما خرج الكابتن بلاك قال لي بوارو باسماً: والآن يا هيستنغز، لعل الأمور قد اتضحت لك؟

- لا أدري ما الذي تعنيه.

- ألا تكشف لك قائمة الكلمات التي قمت بتسجيلها عن شيء.

حككت رأسي مفكراً دون أن أجيب، ومضى بوارو في حديثه قائلاً: سوف أساعدك. أولاً، أجاب بلاك بلا تردد في حدود الوقت العادي ودون توقف، وبهذا نستطيع أن نقول إنه لم يرتكب جرماً وليس لديه ما يحرص على إخفائه. إجابته بالنهار على الليل وبالمكان على الاسم ارتباط طبيعي. ثم بدأت عملي بكلمة «برنارد» التي قد توحي له بالطبيب المحلي لو أنه تعامل معه على أي وجه من الوجوه، ومن الواضح أن ذلك لم يحدث. وبعد حديثنا الأخير أجاب بـ«العشاء» على «الثلاثاء»، ولكنه أجاب على «الرحلة» و «البلد» بـ«المركب» و«أوغندا»، مما يظهر بوضوح أن الرحلة إلى الخارج كانت تعتبر أهم بالنسبة له من رحلته إلى الوطن. وكلمة «قصة» أوحت له بـ«الأسود»، ولا شك أنها القصص التي رواها أثناء العشاء. ثم ذكرت له كلمة «بندقية الصيد» التي أجاب عليها بـ«المزرعة» على خلاف كل ما كنت أتوقعه. وعندما ذكرت «طلقة» أجاب على الفور بـ«الانتحار». ومن

هنا يبدو الارتباط واضحاً، فهو يعرف شخصاً انتحر بواسطة بندقية الصيد في مزرعة، وتذكّر كذلك أن ذهنه لا يزال يفكر في القصص التي رواها أثناء العشاء، وأعتقد أنك سوف توافقني على أنني لا أبعد عن الحقيقة عندما أستدعي الكابتن بلاك وأطلب منه أن يعيد -بصفة خاصة- رواية قصة الانتحار التي تحدث عنها على مائدة العشاء مساء الثلاثاء.

أثبت بلاك استقامته تماماً عندما استجاب بسهولة وقال: نعم، لقد رويت لهم هذه القصة. أطلق شاب الرصاص على نفسه من بندقية صيد في مزرعة بعيدة عن هذا المكان، أطلق الرصاصة على سقف الحلق حيث استقرت في المخ مما حير الأطباء تماماً، فلم تظهر على الوجه سوى بضع قطرات من الدم على الشفتين. ولكن ما السبب في...

- تعني ما هو الارتباط بين هذه القصة وموت السيد مالتر أفيرس؟ يبدو أنك لا تعلم أنهم عثروا على بندقية صيد صغيرة بجوار الجثة؟

- تقصد أن قصتي أوحت له الفكرة. أوه! ولكن ذلك مريع.

- لا توجّه اللوم إلى نفسك، فقد كان المفروض أن يتم الموضوع على هذا الوجه أو ذاك. حسناً، سوف أجري اتصالاً تليفونياً بلندن.

استغرق الاتصال التليفوني وقتاً طويلاً عاد بوارو على إثره شارد اللب، ثم خرج للنزهة وحده بعد الظهر. وعندما

عاد في السابعة مساء أعلن أنه لا يستطيع أن يصبر أطول من ذلك وأنه لا بد من إخطار الأرملة الشابة بالأنبياء الأليمة. وكنت قد بدأت أشعر بالعطف على تلك الأرملة التعسة وأنا أفكر في موقفها عندما تكتشف أن زوجها قد انتحر وأنها لن تنال بنساً واحداً من قيمة التأمين، وتمنيت لو أن الضابط الشاب الذي يشعر نحوها بعاطفة قوية استطاع أن يعوضها عما فاتها.

ولقد كان لقاؤنا مع الأرملة مؤلماً، فقد أبت أن تصدق الحقائق التي عرضها بوارو، وعندما اقتنعت في النهاية استسلمت لنوبة عاتية من البكاء.

وقد تأكدت شكوك بوارو وأصبحت حقيقة مؤكدة بعد إعادة الكشف على الجثة، وأعرب بوارو للأرملة عن أسفه الشديد، فهو مكلف بمهمة لصالح شركة التأمين ولم يكن في وسعه أن يفعل غير ما فعل. وبينما كان يستعد لمغادرة المكان قال للأرملة: سيدتي، يجب أن تعلمي أنت بصفة خاصة من دون الناس جميعاً أنه لا يوجد موتى!

قالت الأرملة الحسناء باضطراب: ما الذي تعنيه؟

- ألم يسبق لك حضور جلسات تحضير الأرواح؟ إنك تتمتعين بخاصية الوساطة.

- لقد قيل لي ذلك من قبل، وهل تؤمن حقاً بالأرواح؟

- سيدتي، لقد رأيت بنفسي أشياء غريبة، ولعلك

تعلمين أنهم يشيعون في القرية أن هذا البيت مسكون.

هزّت الأرملة رأسها موافقة، وجاءت الخادمة تعلن أن المائدة معدّة للعشاء فقالت الأرملة: ألا تبقيان قليلاً لتناول الطعام؟

قبلنا الدعوة شاكرين، فقد داخلني شعور بأن بقاءنا بعض الوقت مع الأرملة يسليها وينسيها أحزانها. ولم نكد نفرغ من تناول الحساء حتى سمعنا صرخة مدوية خارج الباب وآنية فخارية تتحطم، ودخلت الخادمة في هلع وهي تضع يدها على قلبها قائلة في ارتياع: لقد كان رجل... يقف في الممر.

اندفع بوارو إلى الخارج وعاد مسرعاً ليقول: لا يوجد أحد.

وقالت الخادمة بنفس اللهجة: لا يوجد أحد؟ أوه، لقد أفزعني.

- ولكن لماذا؟

أجابت الخادمة في همس: خُيّل إليّ أنه... أنه السيد. كان شديد الشبه به.

رأيت وجه السيدة مالتر أفيرس يزداد شحوباً وتذكرت الخرافات المتوارثة عن أن الذين ينتحرون لا تهدأ أرواحهم، ولا بد أنها فكرت في نفس الشيء لأنها أمسكت بذراع بوارو بعد لحظة وهي تصرخ قائلة: ألم تسمع ذلك الصوت؟ إنها

نقراته على النافذة. كانت تلك طريقته دائماً عندما يطوف حول المنزل.

وصحت بدوري في قلق: إنها النباتات المتسلقة التي تجاور النافذة.

ساد الغرفة جو من الفزع أسكتنا جميعاً، وعندما فرغنا من تناول الطعام ألحت الأرملة على بوارو حتى لا يغادر المكان على التو، فقد كان من الواضح أنها تخاف البقاء وحدها. وجلسنا في غرفة المعيشة بينما كانت الرياح تزمجر في الخارج لتضيف المزيد إلى جو الرعب السائد في الداخل، ورأينا الباب يُفتح مرتين ببطء من تلقاء نفسه، وفي كل مرة كانت الأرملة تتعلق بذراعي وهي تشهق في ارتياع، وقال بوارو: آه، ما شأن هذا الباب؟ أهو مسحور! سوف أغلقه بنفسي.

قالت الأرملة في رعب ظاهر: لا تفعل ذلك! ماذا يحدث لو أنه فتح الآن مرة أخرى؟

ولقد حدث ما كانت الأرملة تخشاه في نفس اللحظة، فقد انفتح الباب المغلق بالمفتاح، ولم يكن بوسعي أن أرى ما يدور وراء الباب من المكان الذي كنت أجلس فيه، ولكن الأرملة وبوارو كانا يستطيعان. وصرخت الأرملة بفزع وهي تقول لبوارو: لقد رأيته... زوجي! لا بد أنك قد رأيته أيضاً!

- سيدتي، أنا لم أر شيئاً. أنت في حالة غير طبيعية. لا شك أن...

- أنا على ما يرام. أوه، يا إلهي!

وفجأة، ودون سابق إنذار، بدأت الأنوار المنبعثة من المصابيح الكهربائية تضطرب، ثم ساد الظلام التام. وبدد الصمت صوت ثلاث طرقات، ثم سمعت الأرملة تتأوه. وبعدها رأيت بعيني رأسي!

كان الرجل الذي شاهدناه في الطابق العلوي ممدداً على السرير واقفاً يرمقنا بنظرات كالأشباح وعلى فمه كانت بضع قطرات من الدم، بينما راح يرفع يده اليمنى مشيراً بها إلى حلقه، وفجأة انطلق من جسده نور ساطع، ثم تجاوز بوارو ومر بجواري، ثم سقط على السيدة مالتر أفيرس. ورأيت وجهها الشاحب من الرعب وشيئاً آخر فصحت باضطراب: يا إلهي! بوارو، انظر إلى يدها اليمنى، إنها مصبوغة كلها باللون الأحمر!

تأملت الأرملة يديها ثم سقطت على الأرض ككتلة من الحجر قائلة: دم... إنه دم. لقد قتلته، أنا التي قتلته! كان يعرض عليّ البندقية عندما وضعت يدي على الزناد وأطلقت الرصاصة. أنقذوني منه، أنقذوني، لقد عاد.

ضاع صوتها في حشرجة وصاح بوارو على الأثر: الأضواء.

أضيئت الأضواء كأنما بفعل ساحر وقال بوارو: هذا هو المطلوب. هل سمعت يا هيستنغز؟ وأنتَ يا إيفريت؟ آه، بهذه المناسبة، هذا هو السيد إيفريت الممثل المسرحي

المحترف. لقد تحدثت معه تليفونياً بعد ظهر اليوم، أليس المكياج الذي يضعه رائعاً؟ يبدو كالمتوفى تماماً، وفي جيبه المصباح الكشاف والفوسفور اللازم لإعطاء التأثير المطلوب. لو أنني كنت في مكانك -يا هيستنغز- لما مسست يدها اليمنى. إن الطلاء الأحمر يلتصق بسرعة، وعندما انطفأ النور أمسكت بيدها، وها أنت ترى النتيجة. يجب أن نلحق بالقطار فالمفتش جاب واقف وراء النافذة. كان الجو في الخارج سيئاً، ولكنه كان يسلي نفسه بالطرق على النافذة بين الحين والحين.

* * *

وبينما كنا نسير مسرعَين والرياح تزمجر حولنا والمطر ينهمر بغزارة قال بوارو: أنت ترى، كانت هنالك خدعة صغيرة، فقد كان الطبيب المحلي يعتقد أن المتوفى عالِم ديني، ومَن الذي يستطيع أن يقدم له مثل هذه المعلومات غير السيدة مالتر أفيرس؟ أما بالنسبة لنا فقد صوّرته لنا على أنه كان في حالة إدراك تام لسوء حالته الصحية، فلماذا صدمت بعودة الكابتن بلاك؟ وأخيراً على الرغم من أن التقاليد تقضي بألا تبالغ السيدة في إظهار الحزن على زوجها فإن السيدة مالتر أفيرس قد أفرطت في وضع الصبغة الحمراء على جفونها! لعلك لم تفطن إلى ذلك يا هيستنغز، كلا؟ إنك كعادتك لا ترى شيئاً.

سكت بوارو برهة ثم أردف يقول: هكذا كان الأمر.

كنت أمام احتمالين، هل أوحت قصة بلاك للسيد مالتر أفيرس بفكرة الانتحار بالبندقية أم أن المستمع الآخر (زوجته) استوحت منها تلك الجريمة العبقرية؟ وقد رجحت الاحتمال الثاني لأن استخدام مالتر أفيرس للبندقية في الانتحار كان يتطلب أن يدفع الزناد بقدمه، ولو أنهم عثروا على فردة حذاء واحدة في الجثة لعلمنا بذلك، لأن مثل هذه الحالة لا تغيب عن العين والذهن. لهذا فقد تمسكت بالاحتمال الثاني، ولكنني لم أكن أملك دليلاً واحداً يثبت صدق نظريتي، ومن هنا كانت الكوميديا القصيرة التي شاهدتها الليلة.

وسألت بوارو: حتى هذه اللحظة لا تزال بعض التفاصيل مبهمة.

قال بوارو: فلنبدأ منذ البداية الأولى. هذه سيدة ذكية تعرف سوء أحوال زوجها المالية، وقد تزوجت الرجل العجوز من أجل ثروته، وهي تشعر بالملل لأنها تفني زهرة شبابها مع عجوز مفلس فتدفعه إلى التأمين على حياته بمبلغ كبير، ثم تفكر في وسيلة للتخلص منه. وتخدمها الصدف بالقصة التي يرويها باركر، وبعد ظهر اليوم التالي، وبينما هي تعتقد أن الكابتن بلاك في طريقه إلى أفريقيا الشرقية، تصحب زوجها إلى الحديقة وتقول: يا لها من قصة غريبة تلك التي رواها الكابتن بلاك! كيف يستطيع رجل أن يطلق الرصاص على نفسه من البندقية؟

وتعرض على زوجها أن يريها البندقية ويعرض عليها

كيف يمكن أن يتم ذلك، ويستجيب لها العجوز المغفل ويضع فوهة الماسورة في حلقه، وتنحني الزوجة الشابة فتضغط على الزناد!

* * *

لغز الشقة الرخيصة

كانت جميع التحقيقات التي تولاها بوارو وقمت بتسجيلها (سواء كانت عن جريمة قتل أو سرقة) تبدأ من حقيقة تتوسط الأحداث، ومن هذه الحقيقة المركزية ينطلق بوارو إلى الحل النهائي عن طريق عملية الاستدلال المنطقي. أما بالنسبة للقضية التي أتحدث عنها الآن فقد اختلف الأمر، حيث اجتذبت انتباه بوارو سلسلة من الأحداث التافهة التي استدرجته ليميط اللثام عن قضية بالغة التعقيد.

كنت أزور صديقاً قديماً في المساء يدعى جيرالد باركر، وكان معنا ستة أشخاص آخرون، وتشعب الحديث حتى وجد باركر نفسه يتحدث عن موضوع أزمة المساكن في لندن ومشكلة العثور على المسكن المناسب. وكانت هواية باركر المفضلة هي البحث عن مسكن جديد، فمنذ انتهت الحرب بلغ عدد المساكن التي استأجرها ما لا يقل عن ستة، ولم يكن يستقر في مسكن حتى يبحث عن غيره، محققاً في كل مرة بعض الربح البسيط، وإن لم يكن الربح هو هدفه الأصلي.

واستمعنا بعض الوقت إلى باركر في مجال خبرته حتى جاء الدور على السيدة روبنسون، وهي شابة حسناء تزوجت حديثاً وكانت مع زوجها، ولم يسبق لي أن التقيت بالزوجين

في زيارتي السابقة لباركر حيث إن روبنسون كان من معارفه الجدد.

قالت السيدة روبنسون: بمناسبة الحديث عن المساكن، هل سمعت عن الحظ الذي صادفنا في العثور على شقة مناسبة يا سيد باركر؟ إنها تقع في عمارة مونتاجو.

فقال باركر: حسناً، كنت أقول دائماً إن العثور على المساكن الغالية ليس مشكلة.

- نعم، لكن هذه الشقة ليست غالية، فإيجارها لا يزيد على ثمانين جنيهاً في العام.

قال باركر: ولكن عمارة مونتاجو تقع في نايتسبريدج، أليس كذلك؟ عمارة وجيهة ضخمة، أم لعلك تتحدثين عن عمارة أخرى لأحد أقارب مونتاجو تقع في حي آخر؟

- كلا، إنها العمارة التي تقع في نايتسبريدج، وهذا ما يجعل الأمر مدهشاً.

- تلك معجزة بحق. ولكن لا بد أن في الشقة عيباً أو أن مقدم الإيجار ضخم.

- لا مقدم على الإطلاق.

قال باركر بدهشة: لا مقدم؟! هذا أمر لا يكاد يصدق.

وأضافت السيدة روبنسون: كانت المشكلة أن نشتري أثاثاً للمسكن.

فقال باركر باسماً: آه! كنت واثقاً من أن الإيجار الرخيص يحمل معه مشكلة من أي لون.

- لكننا لم ندفع في الأثاث أكثر من خمسين جنيهاً، وأصبحت الشقة مجهزة بأثاث جميل.

- إذن فلا بد أن يكون السكان السابقون من المجانين!

بدت الحيرة على وجه السيدة روبنسون وظهرت بعض التجاعيد بين حاجبيها الدقيقين وقالت: أمر غريب، أليس كذلك؟ إذن فأنت تعتقد أن الشقة قد تكون مسكونة؟

فقال باركر بلهجة التأكيد: لم أسمع قط عن شقة مسكونة.

قالت السيدة روبنسون: ولكن الذي حدث بالفعل أن أشياء غريبة قد لفتت نظري.

وتدخلت في الحديث قائلاً: مثل ماذا على سبيل المثال؟

فقال باركر ضاحكاً: آه، لقد بدأ خبير الجرائم يهتم بالموضوع. أريحي نفسك واذكري الوقائع يا سيدة روبنسون. إن هيستنغز عبقري في حل الألغاز.

ضحكت في شيء من الارتباك، وإن كان الإطراء قد أبهجني. فقالت السيدة روبنسون: عندما ذهبنا -يا سيد- هيستنغز إلى مكتب السماسرة ستوسر وبول (ولم نكن قد تعاملنا معهم من قبل لارتفاع إيجار المساكن التي يعرضونها

ولضخامة المقدم المطلوب) قيل لنا إن إيجار الشقة ثمانون جنيهاً في العام، ولكن المرجح أنها غير مناسبة لأنها ظلت مقيدة في سجلاتهم فترة طويلة، وفي كل مرة كانوا يرسلون مستأجراً لمعاينتها كان يذهب ولا يعود. ولكننا أبدينا استعدادنا، لعل وعسى... وتوجهنا إلى العمارة رأساً. ولما كانت الشقة رقم ٤ تقع في الطابق الثاني فقد وقفنا ننتظر المصعد، وفوجئنا -يا كابتن هيستنغز- بإيلزي فيرجسون (وهي صديقة قديمة) تهبط الدرج على عجل، وكانت تبحث بدورها عن شقة فقالت لي: "عودي أدراجك يا عزيزتي، فقد استأجر بعضهم المسكن". فقال جون: "إيجار الشقة رخيص، ونستطيع أن نعرض مبلغاً أكبر أو نغري صاحب المسكن بمقدم معقول". إنه سلوك مشين ولا شك، ولكن أزمة المساكن تجعل الإنسان يفكر في مصلحته أكثر مما يفكر في آداب السلوك.

وأكدت للسيدة روبنسون فهمي للموقف، فأردفت الزوجة الحسناء تقول: وصعدنا إلى الشقة لنكتشف أن أحداً لم يستأجرها، فقابلنا صاحبة المسكن وأبرمنا الاتفاق بعد أن دفعنا خمسين جنيهاً ثمناً للأثاث، ومن المقرر أن ننتقل إلى الشقة غداً.

سأل باركر بفضول: وماذا بشأن السيدة فيرجسون؟ فلنستمع إلى تفسير الكابتن هيستنغز.

فقلت بهدوء: الأمر في غاية البساطة، لقد ذهبت السيدة فيرجسون إلى شقة أخرى.

صاحت السيدة روبنسون بإعجاب: أوه، كم أنت رائع يا كابتن هيستنغز!

تمنيت في تلك اللحظة لو أن بوارو كان معي، فقد كنت أشعر في بعض الأحيان أنه لا يقدّر مواهبي حق قدرها.

* * *

رويت القصة لبوارو في صباح اليوم التالي على أساس أن فيه بعض التسلية، ولكن بوارو أبدى اهتماماً شديداً بالقصة وألقى عليّ أسئلة كثيرة عن مدى مستوى إيجار المساكن في أحياء مختلفة ثم قال: إنها قصة غريبة، اسمح يا هيستنغز أن أقوم بنزهة قصيرة.

* * *

عندما عاد بوارو بعد نحو الساعة كانت عيناه تلمعان ببريق غريب، ووضع عصاه على المائدة ونظف قبعته بعناية قبل أن يبدأ حديثه قائلاً: من حسن الحظ يا صديقي أننا غير مشغولين بشيء في الوقت الحاضر، سوف نكرس كل وقتنا لهذه القضية.

فسألته بدهشة: عن أي قضية تتحدث؟

- موضوع السكن الجديد الرخيص الذي عثرت عليه السيدة روبنسون.

- بوارو، هل أنت جاد فيما تقول؟

- كل الجد. تخيل بنفسك يا صديقي، الإيجار الحقيقي لهذه الشقة لا يقل عن ثلاثمئة وخمسين جنيهاً في الشهر، ولقد تأكدت من ذلك بنفسي عندما قابلت وكلاء المالك. فلماذا تؤجَّر هذه الشقة دون غيرها بثمانين جنيهاً؟ لماذا؟

- لا بد أن فيها بعض العيوب، أو ربما كانت مسكونة كما تقول السيدة روبنسون.

هزّ بوارو رأسه دلالة على عدم الاقتناع ثم قال: الشيء الآخر الغريب في الموضوع أن تخبرها صديقتها أن الشقة قد استؤجرت ثم تجد الأمر على العكس تماماً.

- ولكن من المؤكد أنك تشاركني الرأي في أن السيدة الأخرى قد ذهبت إلى غير المسكن المقصود. هذا هو التعليل الوحيد.

- رأيك هذا يحتمل الصواب والخطأ يا هيستنغز، ولكن بقي أمامنا حقيقة تلفت النظر. لقد ذهب كثيرون ليستأجروا الشقة قبل السيدة روبنسون، وبالرغم من رخص الإيجار فإن الشقة ظلت خالية حتى وصلت السيدة روبنسون.

- هذا يؤكد أن ثمة عيباً في الشقة.

- لم تر السيدة روبنسون شيئاً من ذلك، أليس الأمر غريباً؟ هل أنت مقتنع يا هيستنغز بصدق تلك السيدة؟

- لقد كانت مخلوقة رائعة.

- بالتأكيد! طالما أنها تجعلك غير قادر على الإجابة عن سؤالي. أرجوك أن تصفها لي.

- حسناً، إنها طويلة رقيقة، وشعرها الأحمر الذهبي جميل.

فقاطعني بوارو قائلاً في همس: لقد كنت تميل دائماً للشعر الأحمر يا هيستنغز، ولكن استمر.

- عينان زرقاوين مع تقاطيع جميلة جداً و... حسناً، هذا هو كل شيء على ما أعتقد.

- وماذا بشأن زوجها؟

- فتى لطيف ليس فيه شيء غير عادي.

- أسمر أم معتدل اللون؟

- لا أدري، بين بين، ووجهه عادي للغاية.

- أوه، فتى لطيف ليس فيه شيء غير عادي.

هزّ بوارو رأسه وهو يقول: نعم، يوجد المئات من هؤلاء الرجال العاديين. وعلى أي حال أنت تبدي اهتماماً وعناية أوفر بأوصاف السيدات. هل تعرف شيئاً عن هذين الزوجين؟ هل يعرفهما باركر جيداً؟

- إنهما من المعارف الجدد على ما أعتقد، ولكن المؤكد أنك يا بوارو لا تظن أن...

رفع بوارو يده معترضاً وهو يقول: مهلاً يا صديقي! هل

أخبرتك أنني أفكر في شيء؟ كل ما أقوله إن القصة غريبة وكل ما فيها غامض فيما عدا اسم السيدة. أليس كذلك يا هيستنغز؟

قلت له بجفاء: اسمها ستيلا، ولكنني لا أرى في ذلك...

قاطعني بوارو بضحكة عالية وهو يقول بمرح: ستيلا معناها نجمة، أليس كذلك؟

- ماذا تعني؟

- والنجوم تبعث الضوء! رفه عنك يا هيستنغز، لا تظهر بمظهر الإنسان الذي أهينت كرامته. هيا بنا، فسوف نذهب إلى عمارات مونتاجو لنقوم ببعض التحريات.

صحبته إلى عمارات مونتاجو التي بدت لنا في مظهر طيب، واستقبلنا بواب يرتدي سترة رسمية فسأله بوارو عما إذا كان السيد والسيدة روبنسون هناك، ودون أن ينظر إلينا بارتياب أو شك قال: الشقة رقم ٤ في الدور الثاني.

- شكراً لك. هل تستطيع أن تخبرني منذ متى جاءا إلى المكان؟

- منذ ستة شهور.

صحت معترضاً: مستحيل، لا شك أنك مخطئ.

وكرر البواب في ثقة: منذ ستة شهور.

- هل أنت متأكد؟ السيدة التي أتحدث عنها طويلة رقيقة ذات شعر أحمر ذهبي...

قاطعني البواب قائلاً: هي بعينها، وقد جاءت مع زوجها من حي ميشاليماس منذ ستة شهور.

ويبدو أن البواب لم يكن راغباً في الحديث فتركنا، وتبعت بوارو إلى الخارج ليقول في لهجة مشوبة بالسخرية: حسناً يا هيستنغز. أما زلت متأكداً من أن النساء الجميلات يذكرن الصدق دائماً؟

لم أجب بشيء. وعندما رأيت بوارو متجهاً نحو شارع برمبتون سألته عن هدفه فقال: إلى مكتب هؤلاء السماسرة يا هيستنغز، فلدي رغبة شديدة في استئجار شقة بعمارات مونتاجو، وإذا صدق ظني فسوف تقع هنالك أحداث مسلية في المستقبل القريب.

حالفنا التوفيق في المهمة، فقد كانت الشقة رقم ٨ خالية، وهي تقع في الدور الرابع وإيجارها عشرة جنيهات في الأسبوع. واستأجرها بوارو لمدة شهر، وردّ على اعتراضي بقوله: إنني أكسب مالاً كثيراً في هذه الأيام، فلماذا لا أشبع بعض نزواتي؟ وبهذه المناسبة يا هيستنغز، هل معك مسدس؟

- نعم، ولكن هل نتوقع...

- أن نحتاج إلى المسدس؟ هذا محتمل، وأرى أن

الفكرة تروقك، فأنت تميل دائماً للحركة والأحداث الرومانسية.

توجهنا في اليوم التالي إلى المسكن المؤقت الجديد. وكان أثاث الشقة أنيقاً، والشقة تقع فوق شقة السيدة روبنسون بطابقين. وكان اليوم التالي يوم أحد، وترك بوارو الباب الخارجي للشقة مفتوحاً قليلاً في فترة بعد الظهر، ثم ناداني على عجل عندما سمع صوت باب يفتح في الأدوار السفلية وقال: انظر من حاجز السلم. هل هؤلاء هم أصدقاؤك؟ لا تدعهم يرونك يا هيستنغز.

وقلت في صوت هامس: نعم.

- حسناً، فلننتظر قليلاً.

* * *

بعد نصف ساعة غادرت الشقة رقم ٤ شابة ترتدي ملابس زاهية الألوان فقال بوارو بارتياح: حسن جداً، لقد خرج السيد والسيدة ثم خرجت الآن الخادمة وأصبحت الشقة خالية.

وسألته في قلق: ما الذي سوف نفعله؟

فأسرع بوارو على الفور إلى المطبخ وأمسك بالحبل الذي يرفع به صندوق الفحم وقال: سوف نهبط بطريقة إنزال صفائح القمامة. الناس في مساء الأحد يكونون مشغولين

بحفلات الموسيقى وتناول اللحوم الباردة في إنجلترا، ولذا فسوف يكونون مشغولين عما يفعله هيركيول بوارو. هيا يا صديقي.

خطا بوارو إلى الصندوق الخشبي وأنا أتبعه على مضض، وسألته بضيق: هل سنقتحم الشقة في الطابق الثاني؟

ولم يكن رده مطمئناً عندما أجاب بقوله: ليس الأمر كذلك تماماً اليوم.

جذب بوارو الحبل، وبدأنا نهبط ببطء حتى وصلنا إلى الطابق الثاني، وتنهد بارتياح وهو يرى باب المطبخ مفتوحاً وقال: هل لاحظت؟ إنه لا يغلقون باب شرفة المطبخ بالنهار، ويستطيع أي إنسان أن يصعد ويهبط كما فعلنا. وأما في الليل فهم يغلقون باب الشرفة، ومن أجل هذا فسوف نتخذ بعض الاحتياطات.

وأخرج بوارو من جيبه -وهو يتكلم- بعض الآلات، وأخذ يعالج القفل بحيث يستطيع أن يفتحه من الخارج بسهولة. ولم تستغرق العملية أكثر من ثلاث دقائق، ثم أعاد الآلات إلى جيبه وصعدنا إلى مسكننا.

* * *

ظل بوارو خارج المنزل طوال يوم الاثنين، ولكنه عندما عاد في المساء ألقى جسده على المقعد وهو يتنهد بارتياح وقال: هل أقص عليك قصة قصيرة يا هيستنغز؟ إنها

قصة تروقك وسوف تذكّرك بالأفلام السينمائية المحببة إلى قلبك.

وضحكت وأنا أرد عليه قائلاً: هات ما لديك. أعتقد أنها قصة حقيقية وليست من نسج خيالك.

- إنها واقعية تماماً، والمفتش جاب في اسكتلنديارد يستطيع أن يشهد على صحتها. استمع جيداً يا هيستنغز. منذ أكثر قليلاً من ستة شهور اختفت بعض الوثائق البحرية الهامة من إحدى المصالح الحكومية الأميركية، وهذه الوثائق تبين بعض الاستحكامات الدفاعية الهامة لإحدى الموانئ وهي تساوي الشيء الكثير لو أنها وقعت في يد حكومة أجنبية مثل اليابان. وحامت الشكوك حول شاب إيطالي المولد يدعى لويجي فالدارنو كان يشغل وظيفة صغيرة في تلك المصلحة واختفى في نفس الوقت الذي اكتشفت فيه سرقة الوثائق، وسواء كان لويجي فالدارنو هو السارق الحقيقي أو لم يكن، فقد عُثر عليه بعد يومين مقتولاً بالرصاص في الجانب الشرقي من نيويورك، إلاّ أن الأوراق لم تكن معه. وقبل تلك الفترة ببعض الوقت كان لويجي على علاقة بفتاة تدعى إيلزا هاردت، وهي مغنية ظهرت حديثاً وكانت تعيش مع شقيقها في شقة بواشنطن، ولا يعرف أحد شيئاً عن ماضي الفتاة التي اختفت فجأة في أعقاب مصرع فالدارنو.

وهنالك من الأسباب ما يشير إلى أن إيلزا عضو في منظمة دولية للتجسس قامت بعديد من العمليات، وفي الوقت الذي كانت المخابرات الأميركية تراقب الفتاة كانت

تضع أعينها كذلك على مجموعة من اليابانيين الذين يقيمون في واشنطن، وكانت المخابرات على ثقة من أن الفتاة سوف تتصل باليابانيين عندما تتأكد من أنها في أمان. وقد سافر واحد من هؤلاء اليابانيين فجأة إلى إنجلترا منذ أسبوعين، ومن المرجح أن إيلزا هاردت موجودة بدورها في إنجلترا.

وسكت بوارو برهة ثم أردف يقول: تشير الأوصاف الرسمية لإيلزا هاردت إلى أن طولها خمسة أقدام وسبع بوصات، العينان زرقاوان، الشعر أحمر ذهبي، التقاطيع جميلة، الأنف مستقيم، لا علامات مميزة.

قلت بدهشة: نفس أوصاف السيدة روبنسون.

- حسناً، هناك احتمال بذلك. كذلك علمت أن رجلاً أسمر اللون وأجنبي من جنسية ما كان يسأل عن سكان الشقة رقم ٤ هذا الصباح. لهذا يا صديقي، أخشى أن تُحرم من النوم الهادئ الليلة وتنضم إليّ في السهر داخل الشقة رقم ٤ وأنت مسلح بمسدسك. هل هذا مفهوم؟

- متى نبدأ عملنا؟

- أظن أن منتصف الليل هو أنسب الأوقات، فلا ينتظر أن يحدث شيء قبل ذلك الموعد.

تسللنا بحذر في منتصف الليل تماماً عن طريق مصعد الفحم إلى الشقة رقم ٤، وفتح بوارو باب شرفة المطبخ حيث جلسنا على مقعدين نترقب وقوع الأحداث، وترك

بوارو الباب موارباً وقال: ليس أمامنا الآن سوى الانتظار.

كنت أخشى أن يغلبني النوم، وفي الوقت الذي خيّل إليّ فيه أنني قضيت ثماني ساعات في ذلك المكان (وقد اكتشفت فيما بعد أن الوقت لم يتجاوز الواحدة والثلث) سمعت صوتاً خفيفاً في الخارج. ولمس بوارو يدي فوقفنا بحذر ثم اتجهنا إلى الصالة حيث سمعنا الصوت.

وهمس بوارو في أذني: إنه خارج الباب يعالج القفل، لا تتحرك قبل أن أعطيك الإشارة، وعندئذٍ تنقض عليه من الخلف وتشل حركته، ولا تنسَ أنه يحمل سكيناً.

ظهرت دائرة من الضوء من خلال الباب، وسرعان ما انطفأت ثم فتح الباب ببطء، والتصقنا أنا وبوارو بالحائط، وسمعت أنفاس رجل تمر أمامي ثم أضاء الرجل مصباحه الكشاف. وهمس بوارو في أذني: ابدأ الآن.

قفزنا أنا وبوارو في نفس اللحظة، حيث شللت حركة الرجل بينما ألقى بوارو على رأسه شملة حجبت عنه الرؤية، وتمّ الأمر في لحظة ودون أدنى صوت، ولويت ذراع الرجل ليسقط السكين من يده بينما سحب بوارو الشملة لتنحسر عن عيني الرجل ليربطها حول فمه بإحكام.

وأدنيت المسدس ليراه الرجل ويفهم أن أي مقاومة لن تجدي، ووضع بوارو فمه على أذن الرجل وأخذ يهمس بكلمات سريعة، فهزّ الرجل رأسه بعد برهة علامة على الموافقة. وقاد بوارو الأسير إلى الخارج حيث هبطنا الدرج،

وعندما وصلنا إلى الشارع استدار بوارو ليقول: تنتظرنا إحدى سيارات الأجرة عند ركن الشارع، أعطني المسدس فلن تحتاج إليه الآن.

- وإذا حاول الرجل الهرب؟

ابتسم بوارو وهو يقول: لن يهرب.

عاد بالتاكسي بعد دقيقة، وكان بوارو قد نزع الشملة عن فم الرجل فصحت بدهشة: إنه ليس يابانياً.

قال بوارو ساخراً: قوة الملاحظة كانت سمتك دائماً يا هيستنغز، لا شيء يغيب عنك. هذا الرجل ليس يابانياً، إنه إيطالي!

صعدنا إلى التاكسي، وأعطى بوارو السائق عنواناً في سانت جونز وود. وكنت في تلك اللحظة على جهل تام بخطة بوارو ولم أشأ أن أسأله أمام الغريب. وتوقفت السيارة أمام بيت صغير يبعد عن الطريق، وكاد بوارو يصطدم بعد نزولنا من السيارة بسكير، وقال له بوارو كلمة لم أسمعها، ثم صعد ثلاثتنا الدرج المؤدي إلى البيت الصغير، وضغط بوارو على الجرس، ثم عاد يضغط زر الجرس بإصرار، وفتح الباب بحذر لنسمع صوت رجل يقول بغضب: ماذا تريد؟

وقال بوارو: أريد الطبيب، زوجتي مريضة.

- لا يوجد طبيب هنا.

حاول الرجل أن يغلق الباب، ولكن بوارو وضع قدمه في الفتحة وهو يقول: ماذا تعني بعدم وجود طبيب هنا؟ سوف ألجأ إلى القانون، سوف أدق الجرس وأطرق الباب طول الليل.

قال الرجل برجاء: ولكن يا سيدي العزيز...

- سوف أدعو الشرطة.

استدار بوارو ليهبط السلم ولكن الرجل عاد يقول بنفس اللهجة: كلا، لا تفعل ذلك بالله عليك.

خرج الرجل ليمنع بوارو من تنفيذ تهديده، فدفعه بوارو دفعة قوية جعلت الرجل يسقط على الدرج، وأسرع بوارو إلى الداخل ونحن نتبعه ثم أغلق الباب وراءه بالقفل. ودخلنا أقرب غرفة، وأمر بوارو الرجل الإيطالي بأن يتوارى خلف ستارة النافذة فقال الرجل: نعم يا سنيور.

اندفعت سيدة إلى الحجرة بعد أن توارى الإيطالي خلف الستارة، وكانت طويلة ذات شعر أحمر وقوام ممشوق، فقالت محتدة: أين زوجي؟ من أنتم؟

تقدم بوارو خطوة إلى الأمام وانحنى بأدب قائلاً: أرجو ألا يصاب زوجك بالبرد، فقد لاحظت أنه يرتدي ثياباً خفيفة.

وصاحت السيدة بعصبية: من أنتم؟ ماذا تفعلون في بيتي؟

- صحيح أن أحدنا لم يسبق له شرف معرفتك يا سيدتي، إلاّ أن واحداً من بيننا جاء خصيصاً من نيويورك ليقابلك.

وانفرجت الستائر قليلاً وأطل الإيطالي برأسه، وأحسست بالرعب الشديد وأنا أرى الإيطالي يحمل مسدسي في يده. وأدركت أن بوارو قد نسي المسدس ولا شك في السيارة، وصرخت السيدة وهي تحاول الفرار من الحجرة، ولكن بوارو كان يسد الباب فصرخت في وجهه: دعني أمر، سوف يقتلني!

فقال الإيطالي بصوت خشن وهو يهددنا جميعاً بمسدسه: من كان ذلك المجرم لويجي فالدارنو؟

وصحت في وجه بوارو قائلاً: هذا مخيف يا بوارو، ماذا سنفعل؟

- أرجوك أن تكف عن الكلام يا هيستنغز. أستطيع أن أؤكد أن صديقنا لن يطلق النار حتى آذن له بذلك.

فقال الإيطالي ساخراً: هل أنت واثق من ذلك؟

أسرعت السيدة نحو بوارو قائلة: ما الذي تريده؟

انحنى بوارو وهو يقول بهدوء: لا أظن أن ذكاء الآنسة إيلزا هاردت يحتاج إلى أن أخبرها بما أريد.

التقطت السيدة بحركة سريعة دمية على شكل قطة

مصنوعة من القطيفة السوداء قائلة: إن ما تبحث عنه مخبأ في البطانة.

فقال بوارو بإعجاب: منتهى الذكاء، ليلة سعيدة يا سيدتي. سوف أعطل صديقنا القادم من نيويورك إلى أن تتمكني من الفرار.

وصاح الإيطالي بخشونة: يا لك من أحمق! ثم رفع مسدسه وصوبه إلى المرأة وضغط على الزناد، ولكن لم تصدر عنه سوى تكة خفيفة.

فقال بوارو: أنت لا تثق أبداً بصديقك القديم يا هيستنغز. قد أسمح لأصدقائي بأن يحملوا مسدساً محشواً أما غيرهم فلا.

والتفت نحو الإيطالي ليقول له: وأنت يا صديقي، هل رأيت الجميل الذي أسديته لك. لقد أنقذت عنقك من حبل المشنقة، ومع ذلك فلا تتصور أن السيدة الجميلة سوف تتمكن من الهرب. إن البيت محاصر برجال الشرطة ولا شك أنها بين أيديهم الآن، ألا يعزيك هذا؟ تستطيع أن تغادر الغرفة الآن، ولكن كن على حذر. آه، لقد ذهب بالفعل. وأنت يا صديقي هيستنغز، إنني أرى نظرات العتاب في عينيك. ولكن الأمر كان في غاية البساطة، كان واضحاً منذ اللحظة الأولى أنه من بين مئات المتقدمين لاستئجار الشقة رقم ٤ من عمارة مونتاجو قد وقع الاختيار على روبنسون وزوجته بالذات، لماذا؟ ما الذي كان يميزهما عن الآخرين؟

مظهرهما؟ ربما. ولكن مظهرهما لم يكن غير عادي. إذن، فهو الاسم!

وصحت في غيظ: ولكن لا يوجد شيء غير عادي بالنسبة لمن يحملون اسم روبنسون، فهو اسم شائع.

- آه، يا إلهي! هذا صحيح، وتلك كانت المسألة. لقد جاءت إيلزا هاردت مع زوجها (أو أخيها أو سمّه ما شئت) لتقيم في شقة تحت اسم السيد والسيدة روبنسون، ثم يكتشفان فجأة أن واحدة من تلك العصابات السرية (كالمافيا أو كامورا التي كان يتبعها لويجي فالدارنو بغير شك) تبحث عنهما، فماذا يفعلان؟ يعدّان خطة في غاية البساطة، فهما يعرفان أن الذين يطاردونهما لا يعرفونهما معرفة شخصية، فيعرضان الشقة التي يستأجرانها بإيجار زهيد، ومن بين آلاف الأزواج الذين يبحثون عن شقة للإيجار لا بد أن يجيء عشرات ممن يحملون اسم روبنسون، وتصبح المسألة مجرد انتظار حتى يجيء الزوجان المناسبان.

ثم ما الذي يحدث بعد ذلك؟ يصل المنتقم الذي يعرف الاسم الذي يبحث عنه والعنوان ليضرب ضربته، وينتهي كل شيء بعد أن يشبع رغبته في الانتقام، وتهرب إيلزا هاردت مرة أخرى. بهذه المناسبة يا هيستنغز، يجب أن تقدمني للسيدة روبنسون الحقيقية، تلك السيدة الجميلة الصادقة! لا أدري ماذا سيكون رأيها عندما تعرف أن غرباء اقتحموا مسكنها أثناء غيابها. يجب أن نعود بسرعة، ولكن يبدو أن المفتش جاب ورجاله قد وصلوا.

وسألت بوارو وأنا أتبعه إلى الصالة: كيف اهتديت إلى العنوان؟ أوه، لقد تعقبت بالطبع السيدة روبنسون عندما غادرت المسكن الآخر.

- إنك تدرك الحقائق في الوقت المناسب يا هيستنغز، لقد بدأ مخك يعمل أخيراً. والآن لنُعدّ مفاجأة صغيرة لجاب.

بينما كان المفتش جاب يفتح الباب دفع بوارو برأس دمية القطة السوداء وأرسل من فمه مواء ثاقباً، فذعر المفتش جاب، ولكنه لم يلبث أن قال: أوه، إنه ليس سوى صديقنا بوارو يمزح كعادته. اسمح لنا بالدخول يا سيدي.

- هل أمسكت بأصدقائنا؟

- نعم، لقد سقطت كل الطيور، ولكننا لم نعثر معها على الأوراق.

- حقاً؟ إذن فقد جئت لتفتش المكان. حسناً، لقد كنت على وشك أن أغادره مع هيستنغز، ولكنني أحب أن أعطيك محاضرة صغيرة حول تاريخ وعادات القطة الأليفة.

قال المفتش جاب في ضيق: يا رب السماوات! هل فقدت صوابك تماماً؟

فلم يعبأ بوارو بتعليق المفتش وتابع حديثه قائلاً: لقد كان المصريون القدماء يعبدون القط، ولا يزال البعض يتفاءلون عندما يمرون بقط أسود. وقد مرت هذه القطة

السوداء بطريقك الليلة يا جاب، وأنا أعلم أن الحديث عن أحشاء أي إنسان أو حيوان يعتبر من فساد الذوق في إنجلترا، غير أن أحشاء هذه القطة دقيقة للغاية...

قبض الرجل الذي دخل مع المفتش جاب على القطة ليفحص ما بداخلها، وقال جاب: نسيت أن أقوم بواجب التعارف: مسيو بوارو، هذا هو السيد بيرت من مخابرات الولايات المتحدة.

وعرفت الأصابع المدربة للخبير الأميركي كيف تصل إلى ما تبحث عنه، ومد يده وقد خانته الكلمات برهة ثم قال: أنا سعيد بلقائك يا مسيو بوارو.

* * *

جريمة في الغابة

تمتم بوارو بضعف: من المحتمل بعد كل شيء ألاّ أموت هذه المرة.

نظرت إلى بوارو باسماً وأنا أرى منه تلك الروح من التفاؤل، وكنت بدوري قد أصبت بنوبة الأنفلونزا وقاسيت من آلامها الشيء الكثير. وكان بوارو جالساً في سريره مغطى بالملاءات ورأسه ملفوف بشال من الصوف، وهو ينظر بابتهاج إلى صف من علب الأدوية المرصوصة بعناية أمامه، وأردف يقول: نعم، نعم، سوف أعود مرة أخرى هيركيول بوارو العظيم مصدر رعب المجرمين. تخيل بنفسك يا صديقي العزيز، لقد خصصت لي مجلة «همسات المجتمع» فقرة خاصة. ماذا تقول المجلة؟ آه، هذه هي الكلمة: "صدقوني يا فتيان، إن هيركيول بوارو لا يستطيع أن يحكم قبضته عليكم الآن لأنه هو نفسه تحت قبضة المرض".

ضحكت بمرح ثم قلت له: لقد أصبحت شخصية عامة، ومن حسن الحظ أنه لم تحدث أمور خطيرة خلال فترة مرضك.

- هذا صحيح، لم تكن القضايا القليلة التي رفضتها بالأهمية التي تستحق الندم.

ودخلت صاحبة البيت لتقول: يطلب سيدٌ مقابلة المسيو بوارو أو مقابلتك يا كابتن، ولما كنت قد توسمت فيه الانتماء إلى الطبقة العليا فقد سمحت لنفسي بأن آتي ببطاقته.

وسلمتني السيدة بطاقة الزيارة فقرأت الاسم بصوت مسموع: روجر هافرينج.

أشار بوارو برأسه نحو رف الكتب وطلب مني أن أناوله مجلد «الأعلام والمشاهير»، وقلب بوارو صفحات الكتاب على عجل حتى توقف عند إحدى صفحات الكتاب ومضى يقرأ: "الابن الثاني للبارون وندسور الخامس، تزوج عام ١٩١٣ من الابنة الرابعة لوليام كراب".

وقلت على الفور: أعتقد أنها تلك الفتاة التي كانت تمثل بمسرح فيرفليتي، وقد كانت تسمي نفسها زو كاريسبروك، وأتذكر أنها تزوجت شاباً من المدينة قبل أن تبدأ الحرب مباشرة.

- هل تستطيع أن تقابله يا هيستنغز وتقف على مشكلته وتبلغه اعتذاري؟

كان روجر هافرينج رجلاً في نحو الأربعين من عمره، قوي البنية حسن المظهر، إلاّ أن القلق كان يبدو على قسمات وجهه بوضوح. وبادرني بقوله: كابتن هيستنغز؟ أنت مساعد المسيو بوارو على ما أعلم. من المحتم أن يسافر المسيو بوارو معي اليوم إلى دربي شاير.

أجبته بقولي: أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً، فالمسيو بوارو ملازم الفراش لإصابته بالأنفلونزا.

- يا إلهي! هذه ضربة قاسية لي.

- هل المشكلة التي جئت تعرضها عليه خطيرة؟

- نعم؛ لقد لقي خالي وأحسن أصدقائي في العالم مصرعه في الليلة الماضية.

- هنا في لندن؟

- لا، بل في دربي شاير. كنت في المدينة عندما تلقيت صباح اليوم برقية من زوجتي، وقررت في الحال أن أضع التحقيق في مقتل خالي بين يدي المسيو بوارو.

وطرأت على خاطري فكرة مفاجئة فقلت له: أرجو أن تسمح لي بدقيقة.

اندفعت نحو غرفة بوارو، وفي كلمات قليلة رويت له الموقف فلم يحاول أن يوجه لي أي سؤال وقال: حسناً، حسناً. تريد أن تذهب بنفسك، أليس كذلك، ولم لا؟ أنت قد تعلمت أساليبي، وكل ما أطلبه منك أن توافيني بتقرير يومي وتتبع التعليمات التي أبرق لك بها بكل دقة.

ووافقت على ذلك مرحباً.

* * *

بعد ساعة كنت أجلس في أحد مقاعد الدرجة الأولى

بالقطار في مواجهة السيد هافرينج والقطار يبتعد بأقصى سرعته عن لندن، وقال السيد هافرينج: حتى تكون على علم منذ البداية بكل التفاصيل يا كابتن هيستنغز، أحب أن أعطيك فكرة على المكان الذي نقصده. إن كوخ هنتر الذي وقعت فيه المأساة لا يعدو أن يكون بيتاً صغيراً في قلب غابة دربي شاير، أما بيتنا الحقيقي فيقع في نيوماركت، ونحن في العادة نستأجر شقة في المدينة خلال الموسم. وتشرف على كوخ هنتر مدبرة للبيت قادرة تماماً على تأدية كل ما تحتاج إليه من الخدمات عندما نذهب إلى ذلك المكان لتمضية عطلة نهاية الأسبوع، ولكننا نصحب معنا خلال موسم الصيد مجموعة من الخدم الذين يعملون لدينا في نيوماركت. وقد جعل خالي السيد هارنجتون بيسي (ولعلك تعلم أن أمي السيدة بيسي كانت من نيويورك) جعل إقامته الدائمة معنا خلال الثلاث سنوات الأخيرة، ولم تكن علاقته مع أبي أو أخي طيبة في أي وقت من الأوقات، وأعتقد أنه رغم النظر إليّ باعتباري الابن المتلاف فإن ذلك كان يزيد من حب خالي لي بدلاً من أن يضعفه. أنا رجل فقير بالطبع، ورغم أنه كان صارماً في بعض الحالات إلاّ أنه كان سهل القياد بصفة عامة، وكنا نعيش معاً في انسجام. وقد أعرب خالي منذ يومين عن ضيقه بحياة المرح والإسراف التي نعيشها في المدينة واقترح علينا أن نذهب إلى دربي شاير لنقضي يوماً أو يومين، وأرسلت زوجتي برقية للسيدة ميدلتون مدبرة البيت، ووصلنا بعد ظهر نفس اليوم. ثم اضطرت مساء الأمس إلى العودة إلى المدينة، غير أن زوجتي وخالي لم

يغادرا البيت. وقد تلقيت صباح اليوم هذه البرقية.

وسلمني السيد هافرينج البرقية وكان نصها: "عد فوراً. قُتل خالك الليلة الماضية. أحضر معك أحسن مخبر تستطيع إحضاره ولكن عد سريعاً".

- إذن فأنت لا تعرف حتى اللحظة مزيداً من التفاصيل؟

- أبداً، وأعتقد أن صحف المساء سوف تنشر التفاصيل، ولا شك أن رجال الشرطة يتولون الآن التحقيق في القضية.

كانت الساعة تقترب من الثالثة عندما وصلنا إلى محطة السكك الحديدية الصغيرة في إيلمز ديل، ومن هنا أقلتنا السيارة لمسافة خمسة أميال إلى بيت صغير في وسط الغابة مبني من الحجارة، وقلت وأنا أرتجف: إنه مكان منعزل.

هزّ هافرينج رأسه وهو يقول: سأحاول أن أتخلص منه، فلن أطيق الإقامة فيه بعد ذلك.

عبرنا الباب الحديدي الخارجي وكنا في طريقنا إلى الباب الخشبي للمنزل عندما فوجئنا بوجه مألوف، وقلت بدهشة: جاب؟

أومأ المفتش جاب برأسه لي باسماً وهو يقول: السيد هافرينج على ما أعتقد؟ لقد كلفوني في لندن بتحقيق هذه القضية، وأحب أن أتحدث معك قليلاً لو سمحت يا سيدي.

- وهل زوجتي...

- لقد قابلت زوجتك الطيبة كما التقيت بمدبرة المنزل. لن أعطلك أكثر من لحظات، فأنا أريد العودة بأسرع ما يمكن إلى القرية بعد أن عاينت كل شيء هنا.

- أنا لا أعرف أي شيء حتى هذه اللحظة.

قال المفتش بهدوء: تماماً، ولكن توجد نقطة أو نقطتان أحب أن استوضحك بشأنهما. الكابتن هيستنغز سيخطر زوجتك بأنك قادم بعد قليل، وبهذه المناسبة يا كابتن هيستنغز، كيف تخلصت من الرجل الصغير؟

- إنه فريسة الأنفلونزا وطريح الفراش.

- أحقاً؟ يؤسفني أن أسمع ذلك. هذا يجعل المسألة كالعربة بلا الحصان عندما تأتي وحدك!

استأت لذلك المزاح الذي جاء في غير أوانه، وتوجهت إلى البيت دون أن أجيبه بشيء. ضغطت على زر الجرس وفتحت لي بعد لحظات سيدة في وسط العمر ترتدي ثياب الحداد، فقلت لها: سوف يعود السيد هافرينج بعد لحظات، لقد استبقاه المفتش ليستفسر منه عن بعض المعلومات، وقد جئت من لندن لأتولى التحقيق في القضية. ربما كان باستطاعتك أن تقصي عليّ بإيجاز ما حدث في الليلة الماضية.

- تفضل يا سيدي.

أغلقت الباب بعد دخولنا، وكنا واقفين في الصالة

المعتمة عندما قالت: لقد جاء رجل غريب بعد العشاء في الليلة الماضية يا سيدي وسأل عن السيد بيس، ولما كان يتحدث بنفس اللهجة التي يتكلم بها السيد فقد اعتقدت أنه صديق أمريكي للسيد بيس، فصحبته إلى حجرة أسلحة الصيد ثم ذهبت لأخطر السيد بيس. وقد رفض السيد أن يصرح باسمه وهو الأمر الذي بدا غريباً في ذلك الوقت. وعندما أخبرت السيد بيس بدت عليه الدهشة ولكنه قال لربة البيت: "عن إذنك يا زو، سأرى ماذا يريده هذا الزائر". وذهب السيد إلى حجرة الأسلحة بينما توجهت إلى المطبخ، وبعد قليل سمعت صوتاً مرتفعاً فأدركت أنهما يتشاجران، فجئت مسرعة إلى الصالة، وكانت ربة البيت قد جاءت بدورها، وفي نفس اللحظة سمعنا صوت طلقة ثم خيم الصمت. وأسرعنا إلى باب حجرة السلاح فرأيناه مغلقاً من الداخل، وكان علينا أن ندور حول البيت لنتسلل من النافذة. ورأينا النافذة مفتوحة، وكان السيد بيس راقداً على الأرض يسبح في بركة من الدم.

- وماذا كان من أمر الرجل الغريب؟

- لا بد أنه قفز من النافذة قبل وصولنا.

- ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

- أرسلتني السيدة هارفينج إلى نقطة الشرطة التي تقع على مسافة خمسة أميال، وجاء معي شرطي بقي طول الليل حتى جاء مفتش الشرطة من لندن في الصباح.

- كيف كان يبدو شكل الزائر المجهول؟

فكرت مدبرة البيت قليلاً ثم قالت: كانت له لحية سوداء يا سيدي، وهو في منتصف العمر ويرتدي معطفاً خفيفاً. وفيما عدا أنه كان يتحدث بلهجة أميركية فلم ألاحظ شيئاً آخر يلفت النظر.

- حسناً، هل أستطيع أن أقابل السيدة هافرينج الآن؟

- إنها في الدور العلوي يا سيدي. هل أخبرها؟

- إذا سمحت. قولي لها إن السيد هافرينج في الخارج مع المفتش جاب وإن السيد الذي أتى به من لندن يريد أن يتحدث معها في أسرع وقت ممكن.

- حسناً يا سيدي.

* * *

كنت شديد اللهفة لمعرفة كافة الحقائق، فقد سبقني المفتش جاب بثلاث ساعات، وكانت لهفته لمغادرة المكان سبباً يدفعني إلى أن أكون في أعقابه. ولم تتركني السيدة هافرينج أنتظر طويلاً، فقد وصلت بعد بضع دقائق هابطة الدرج، وبدت لي سيدة حسناء في مقتبل العمر، وكانت ترتدي صداراً أحمر وتضع على رأسها قبعة صغيرة من الجلد اللامع، ولم تستطع المأساة أن تطفئ حيوية شخصيتها.

قدمت لها نفسي فأعربت عن فهمها للموقف وقالت:

لقد سمعت عنك بالطبع وعن زميلك المسيو بوارو. لقد قمتما معاً ببضعة أعمال رائعة، أليس كذلك؟ ولقد كان زوجي ذكياً للغاية عندما نجح في إقناعك بالمجيء بهذه السرعة. تستطيع الآن أن توجه أسئلتك لأن هذه هي أسهل الطرق لمعرفة كل الحقائق المتعلقة بهذه المأساة.

- شكراً لك يا سيدة هافرينج. هل تستطيعين أن تحددي الوقت الذي وصل فيه الرجل؟

- لا بد أن وصوله كان قبل الساعة التاسعة بقليل لأننا كنا قد فرغنا للتو من تناول العشاء ونستعد لتناول القهوة.

- وكان زوجك قد سافر بالفعل إلى لندن؟

- نعم، ركب قطار الساعة السادسة والربع.

- هل ذهب إلى المحطة بالسيارة أم سيراً على الأقدام؟

- سيارتنا الخاصة ليست هنا، لذلك جاءت سيارة من مكتب إيلمر ديل للنقل لتقله إلى المحطة في الوقت المناسب للحاق بالقطار.

- هل كان السيد بيس في حالته الطبيعية؟

- بكل تأكيد. كان طبيعياً تماماً.

- هل تستطيعين أن تذكري أوصاف الرجل؟

- لم أره للأسف الشديد، فقد قادته السيدة ميلتون إلى حجرة السلاح مباشرة ثم جاءت لتخبر السيد بيس.

- وماذا كان رد السيد بيس؟

- بدا عليه الضيق ولكنه ذهب لمقابلة الزائر على الفور، ولم تمضِ خمس دقائق حتى سمعت الأصوات المرتفعة فاندفعت إلى الصالة وكدت ارتطم بالسيدة ميدلتون، ثم سمعنا صوت الرصاصة. وكان باب الحجرة مغلقاً من الداخل، وعندها ذهبت إلى النافذة، وقد استغرق ذلك بعض الوقت بالطبع، فنجح القاتل في الفرار. وكان المسكين (وتهدج صوتها وهي تقول في حزن): مصاباً برصاصة في رأسه. لقد تأكدت من أول نظرة أنه فارق الحياة فأرسلت السيدة ميدلتون لتستدعي الشرطة، وكنت حريصة على عدم لمس أي شيء في الغرفة.

هززت رأسي موافقاً ثم قلت لها: وبالنسبة للسلاح الذي استُخدم في ارتكاب الجريمة؟

- أستطيع أن أخمن يا كابتن هيستنغز. كان على الجدار مسدسان لزوجي، وقد لاحظت اختفاء أحدهما. وقد ذكرت هذه الواقعة لرجال الشرطة فاستولوا على المسدس الآخر وأخذوه معهم، وعندما يستخرجون الرصاصة من الجثة فسوف تتكشف لهم الحقيقة.

- هل أستطيع أن أشاهد حجرة الأسلحة؟

- بالتأكيد، لقد عاينها رجال الشرطة كما أن الجثة قد نقلت من الغرفة.

صحبتني السيدة هافرينج إلى مسرح الجريمة، وكان السيد هافرينج قد دخل إلى الصالة فاعتذرت لي ربة البيت وأسرعت نحو زوجها لأقوم وحدي بالمعاينة. ويجب أن أعترف بأن المعاينة لم تفدني شيئاً، فالمعروف في الروايات البوليسية أن الأدلة تتوافر دائماً بكثرة، إلاّ أنني في هذه القضية لم أرَ شيئاً واحداً يلفت النظر رغم العناية الشديدة التي وفرتها للبحث، ما عدا أنني شاهدت على السجادة بقعة كبيرة من الدم.

والتقطت صورتين للحجرة بالكاميرا التي أحضرتها معي، وأعدت معاينة الغرفة من الخارج لعلي أعثر على آثار شيء. ورأيت في النهاية أن بقائي في ذلك المكان لم يعد مجدياً فقررت الذهاب إلى إيلمر ديل لألحق بالمفتش جاب. واستأذنت من أصحاب البيت وتوجهت إلى المحطة.

* * *

صحبني المفتش جاب لمشاهدة الجثة، وكان هارنجتون بيس صغير الحجم حليق الذقن ذا ملامح أمريكية خالصة، وقد أصابته الرصاصة في مؤخرة الرأس.

وأفرغ رجال الشرطة المسدس من الذخيرة، وقال جاب: يبدو أنه قد أدار رأسه فاختطف الرجل الآخر المسدس وأطلقه عليه من الخلف. كان المسدس الذي سلمته لنا السيدة هافرينج محشواً وكل طلقاته سليمة، وأعتقد أن المسدس الآخر كان محشواً بالذخيرة أيضاً. أليس

هؤلاء الناس حمقى عندما يتركون أسلحتهم المعلقة فوق الجدران محشوة بالرصاص؟

وسألته بفضول: ما رأيك في القصة؟

- حسناً، إنني أراقب هافرينج، ففي ماضيه هفوة أو هفوتان. عندما كان طالباً في أكسفورد زوّر توقيع والده على أحد الشيكات وتمّت تسوية الموضوع بالطبع، وهو الآن غارق إلى أذنيه في الديون، ولم يكن يستطيع أن يلجأ إلى خاله بشأن تلك الديون، ولك أن تتأكد أن وصية خاله لصالحه. لهذا فإنني أراقبه جيداً، وقد كان هذا هو السبب الذي جعلني أصمم على مقابلته قبل أن يرى زوجته، لكن أقوالهما كانت متطابقة تماماً. فقد تأكدت من أنه استقل قطار السادسة والربع الذي يصل إلى لندن في العاشرة والنصف، وأنه توجه رأساً إلى النادي، وقد أيده الشهود في ذلك، ولذا لم يكن باستطاعته أن يطلق النار على خاله في الساعة التاسعة وهو متنكر بلحية سوداء مستعارة!

- آه، نعم، لقد كنت على وشك أن أسألك عن قصة اللحية.

فأجاب وهو يغمز بعينه: أعتقد أنها نمت بسرعة في خلال المدة التي قطع فيها القاتل مسافة خمسة أميال بين المحطة وكوخ هنتر. الأميركيون الذين قابلتهم كانوا حليقي الذقن دائماً، وإذا أردنا أن نبحث عن قاتل السيد بيس فلا بد أن نبحث عنه بين أصدقائه الأميركيين. لقد سألت مدبرة

البيت أولاً ثم سألت السيدة، وكانت الروايتان متطابقتين تماماً. ولكن الشيء الذي يؤسف له حقاً أن السيدة هافرينج لم تشاهد الرجل، فهي سيدة ذكية وكان من المحتمل أن تلاحظ ما يساعدنا على الكشف عن شخصية القاتل.

* * *

جلست أكتب تقريراً مفصلاً لبوارو واستطعت أن أضيف بعض المعلومات الجديدة قبل أن أرسل التقرير بالبريد، فقد ثبت بعد استخراج الرصاصة من الجثة أنها أطلقت من مسدس مشابه لذلك الذي وقع بين يدي الشرطة، فضلاً عن أنه تمّ التحقق من التحركات التي قام بها السيد هافرينج في الليلة السابقة واتضح أنها مطابقة لما شرحه لرجال الشرطة بما لا يحتمل أدنى شك، فقد ثبت وصوله إلى لندن بقطار الحادية عشرة والنصف، فضلاً عن أن رجلاً من المدينة يسكن في إيلنج عثر بالقرب من محطة السكة الحديدية على لفافة بها مسدس، واتضح لرجال الشرطة أنه المسدس المفقود وأن طلقة واحدة قد أُطلقت منه. وذكرت كل ذلك في التقرير.

وصلتني برقية من بوارو أثناء تناول طعام الإفطار صباح اليوم التالي تقول: "ليس هافرينج صاحب اللحية السوداء بالطبع، فتلك إما فكرتك أو فكرة جاب. أبرق إليّ بأوصاف مدبرة البيت وشكل الملابس التي كانت ترتديها هذا الصباح، ونفس الشيء بالنسبة للسيدة هافرينج. لا تضيع وقتك في

التقاط الصور فهي غير واضحة وأبعد ما تكون عن الفن".

بدا لي أسلوب بوارو ساخراً بلا داع، ولعله كان يغار مني لوجودي في مسرح الحدث أتولى التحقيق في القضية، كما بدا لي طلب وصف الملابس التي ترتديها السيدتان سخيفاً، ولكنني كنت مضطراً لإجابته إلى مطلبه.

وفي الحادية عشرة وصلتني برقية من بوارو تقول: "انصح جاب باعتقال مدبّرة البيت قبل فوات الوقت".

ذهبت بالبرقية إلى جاب الذي قال لي بهدوء: لا بد أن لبوارو وجهة نظره، فإذا كان يشير بذلك فلا بد أن لديه أسباباً وجيهة. وأنا لم أعر مدبرة البيت في الواقع أدنى اهتمام ولا أجد من الأسباب ما يدفعني إلى اعتقالها، ولكنني سوف أضعها تحت المراقبة. وسوف نبدأ من الآن حيث نلقي عليها نظرة أخرى.

ولشد ما كانت دهشتنا حين فوجئنا باختفاء السيدة ميلتون وقد تركت حقيبتها ولم يكن بها سوى ملابس عادية، ولم نعثر على أي أثر يكشف عن شخصيتها. وعندما سألنا السيدة هافرينج قالت: لقد استخدمتها منذ ثلاثة أسابيع عندما تركت السيدة إيمري الخدمة، وقد جاءتني من وكالة السيدة سلبورن في شارع مونت، وهي وكالة معروفة وأنا أحصل منها على حاجتي من الخدم دائماً. وقد أرسلوا بضع سيدات ولكنني وجدت السيدة ميدلتون أنسبهن، فقد كانت حسنة المظهر ولديها شهادات خبرة جيدة. وقد أخطرت الوكالة

باختياري لها، ولا أعتقد أنه يوجد ما يمكن مؤاخذتها عليه، فقد كانت سيدة لطيفة للغاية.

بدت المسألة غامضة تماماً، فرغم أنه كان من الواضح أن السيدة لا يمكن أن تكون مرتكبة الجريمة (حيث إنها كانت مع السيدة هافرينج في الصالة وقت إطلاق الرصاصة) إلاّ أن اختفاءها المفاجئ لا بد وأن يشير إلى وجود صلة بينها وبين القاتل.

وأبرقت لبوارو بالتطورات الجديدة واقترحت عليه أن أعود إلى لندن وأتصل بوكالة سلبورن، فجاءني رده عل الفور: "لا جدوى من الاتصال بالوكالة لأنهم لن يعرفوا الوسيلة التي استخدمتها للوصول إلى كوخ هنتر ولا ساعة وصولها".

ورغم عدم ارتياحي فقد أطعت تعليماته. وعندما اتصلت بشركة النقل المحلية الوحيدة علمت أن أحداً لم يستخدم سياراتهم مما يؤكد أن القاتل قد جاء بسيارة خاصة. وبالاتصال بوكالة سلبورن في لندن اتضح أن اسم السيدة ميدلتون غير مقيد في السجلات، ومع هذا فقد أرسلت السيدة هافرينج للوكالة الأجر عندما اختارت مدبرة البيت! وكان لا بد من عودتي إلى لندن، وعند وصولي كان بوارو جالساً أمام المدفأة وحياني بمودة قائلاً: صديقي العزيز هيستنغز! كم أنا سعيد لرؤيتك. أنا أكنّ لك مودة عظيمة وأرجو أن تكون قد استمتعت بوقتك، ألم يتح لك أن تلتقي بالمفتش جاب وأن تجري التحقيقات التي تروقك؟

قلت له في ضيق: بوارو، القضية غامضة تماماً ويبدو أن أحداً لن يهتدي إلى الحل.

- صحيح، ليس من المحتمل أن نحقق لأنفسنا المجد في هذه القضية.

- هذا صحيح؛ إنها كالبندقَة الصلبة التي تستعصي على الكسر.

- أوه، ولكنك تعلم أنني ماهر في كسر البندق! أنا لست قلقاً بالنسبة لهذه القضية لأنني أعرف القاتل الحقيقي للسيد هارنجتون بيس.

قلت بدهشة بالغة: أنت تعرف؟ وكيف اكتشفت القاتل؟

- إجاباتك الرائعة على برقياتي زودتني بالحقيقة. هيا بنا يا هيستنغز نستعرض الحقائق معاً بطريقة منهجية بحسب ترتيبها: يمتلك السيد هارنجتون بيس ثروة كبيرة سوف تؤول بعد موته إلى ابن أخته. وابن أخته في موقف مالي صعب للغاية، وهذه هي النقطة الثانية. والمعروف عن السيد هافرينج كذلك أن أخلاقه وسلوكه في الماضي ليسا فوق مستوى الشبهات، وهذه هي النقطة الثالثة.

قلت له معترضاً: ولكن ثبت أن روجر هافرينج قام برحلته رأساً إلى لندن.

- تماماً، ونظراً لأن السيد هافرينج غادر إيلمرديل بقطار السادسة والربع، ونظراً لأن السيد بيس لا يمكن أن يكون

قد لقي مصرعه قبل سفر هافرينج وإلاّ لكان الطبيب قد فطن إلى ذلك، نستخلص من ذلك أن السيد هافرينج لم يطلق الرصاص على خاله، ولكن نجد أمامنا السيدة هافرينج.

- مستحيل، فقد كانت معها مدبرة البيت.

- آه، نعم، مدبرة البيت... ولكنها اختفت.

- سوف يعثرون عليها.

- لا أظن ذلك، فهناك خدعة في قصة مدبرة البيت. ألا تظن ذلك يا هيستنغز؟

- لقد أدت دورها على ما أعتقد ثم هربت في الوقت المناسب.

- وماذا كان دورها؟

- أن تسهّل دخول شريكها صاحب اللحية السوداء.

- أوه، لا، لم يكن ذلك دورها. كان دورها هو الذي أشرت إليه يا هيستنغز منذ قليل، أن تكون شاهداً على وجودها مع السيدة هافرينج في لحظة ارتكاب الجريمة. ولن يعثر عليها أحد بعد ذلك لأنها لم تكن موجودة أصلاً! هل نسيت أن زوجة هافرينج كانت ممثلة قبل زواجها، وأنك وجاب لم تريا مدبرة البيت في النور بل قابلتكما في الصالة المعتمة وبدت لكما سيدة في منتصف العمر ترتدي ثياباً سوداء وصوتها خافت؟ كما أن أحداً منكم، لا أنت ولا جاب ولا رجال الشرطة، قد التقى مدبرة البيت مجتمعة مع

ربة الدار في نفس الوقت. لقد كانت لعبة أطفال بالنسبة لتلك الممثلة الجريئة، فعلى زعم أنها ذاهبة لتنادي سيدتها تسرع إلى الطابق الأعلى وتضع صداراً وقبعة، وبلمسات مكياج سريعة تبدو زوجة هافرينج الشابة الساحرة ذات الصوت الرنان. ولن يفكر أحد في أمر مدبرة البيت. ولماذا يفكرون فيها؟ لا يوجد أي ارتباط بينها وبين الجريمة، وهي كذلك لديها شاهد على براءتها هو سيدتها التي كانت معها لحظة انطلاق الرصاصة.

– ولكن المسدس الذي عثروا عليه في إيلنج... لا يمكن أن تكون السيدة هافرينج ألقته هناك.

– نعم، كانت تلك مهمة هافرينج. ولكنها كانت غلطة من جانبهما وضعتني على الطريق الصحيح؛ فالرجل الذي يرتكب جريمة بمسدس عُثر عليه في مكان ارتكاب الجريمة يتخلص منه على الفور ولا يحمله معه إلى لندن. لقد كان الدافع واضحاً، إذ أراد مدبرو الجريمة أن يركزوا على مكان بعيد، كانوا يريدون إبعاد الشرطة بأسرع وقت مستطاع عن كوخ هنتر، ومن الطبيعي ألا يكون المسدس الذي عثروا عليه في إيلنج هو نفس المسدس الذي أطلق منه الرصاص على السيد بيس، فقد أفرغ روجر هافرينج رصاصة من المسدس وحمله معه إلى لندن، ثم توجه إلى النادي رأساً ليحصل على شاهد، ثم أسرع إلى إيلنج ليتخلص من المسدس، وهي رحلة لا تستغرق أكثر من عشرين دقيقة. أما تلك المخلوقة الرقيقة، زوجته، فهي التي تطلق النار بكل

هدوء على السيد بيس بعد العشاء (وأنت تذكر أن الطلقة أصابت رأسه من الخلف، وتلك أيضاً نقطة تلفت النظر). ثم تعود الزوجة وتحشو المسدس وتعيده إلى مكانه وتبدأ في تمثيل مسرحيتها الصغيرة.

قلت بدهشة: هذا أمر قابل للتصديق، ومع ذلك...

- ومع ذلك فهو صحيح، صحيح تماماً يا صديقي العزيز. أما تقديم الزوجين للمحاكمة فهذا موضوع آخر. ويجب على المفتش جاب أن يفعل كل ما يستطيع، وقد كتبت إليه بالفعل، ولكنني أخشى أن أقول يا هيستنغز أننا مضطرون إلى تركها للقدر أو لعدالة السماء.

* * *

تحققت نبوءة بوارو، فرغم اقتناع المفتش جاب بسلامة نظرية بوارو إلا أنه لم يستطع اعتقال الزوجين. ولكن ذلك لم يمنع من أن يلقيا المصير العادل الذي يستحقانه، وعندما قرأت بعد ذلك في الصحف أن السير روجر والسيدة هافرينج كانا بين الركاب الذين لقوا مصرعهم في حادث الطائرة المتجهة إلى باريس أدركت أن العدل لا بد أن يأخذ مجراه دائماً.

* * *

المحتويات

لعنة الفراعنة..... ٥
الجوهرة المفقودة..... ٣٥
ذات النقاب الأسود..... ٧٣
مأساة وثيقة التأمين..... ٩١
لغز الشقة الرخيصة ١١٥
جريمة في الغابة..... ١٣٩